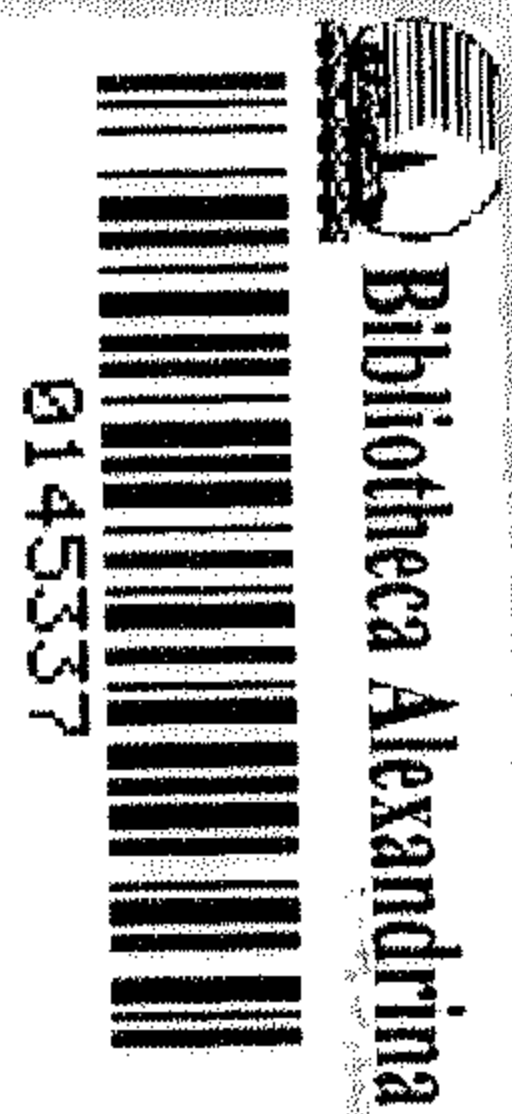
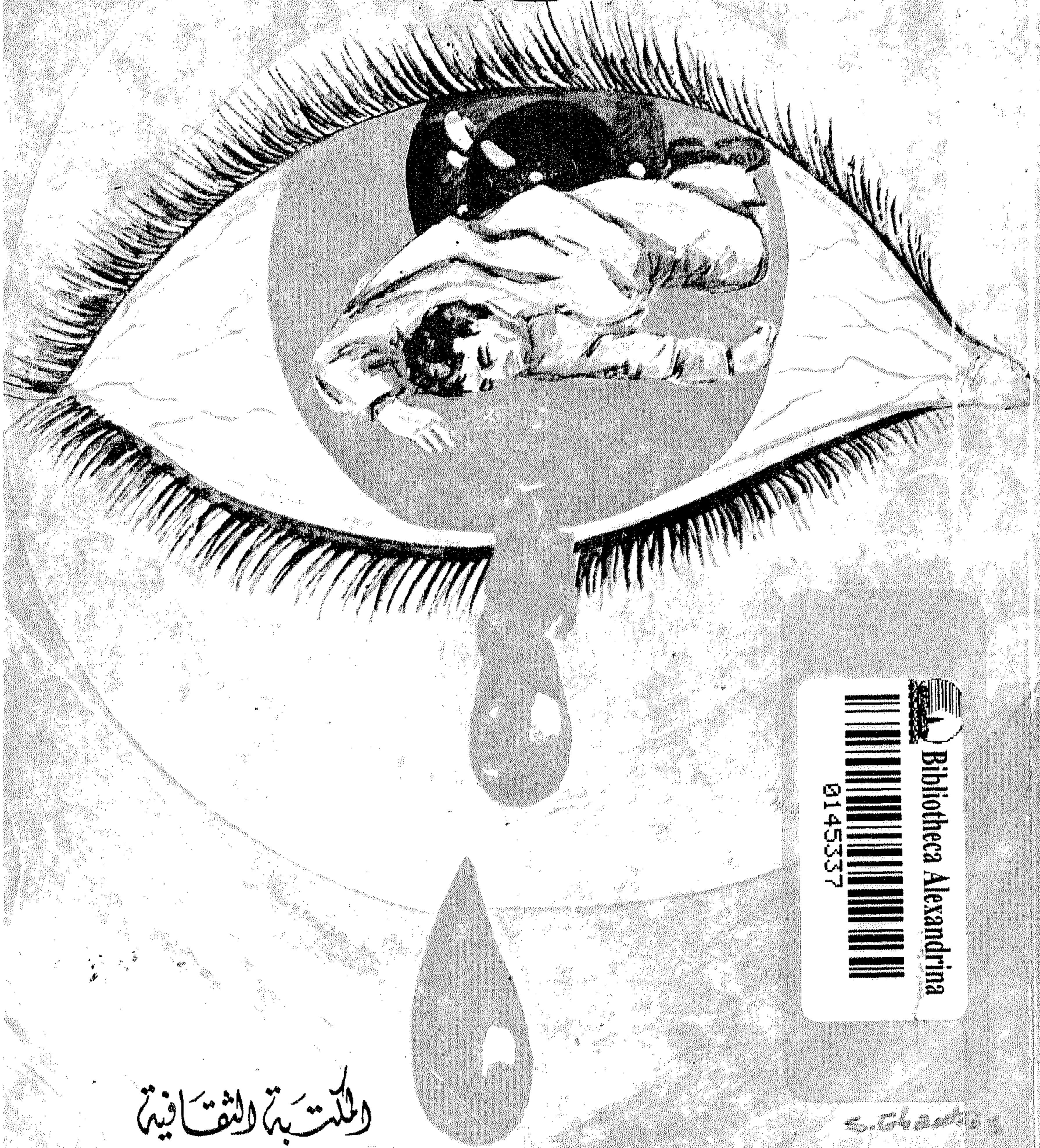


أَجَاتَا كَرِيْمِي

# اللَّغْزُ الْمَكْبُورُ



مكتبة الثقافة  
بيروت - لبنان

S. Ghannouchy



اللفز المشير



أهائا كرىبى

اللغز المشر

تقريب  
عرب الغزى امين

المكتبة الثقافية  
بيروت - لبنان



## اللفز المشير

قالت الليدي سيفثيا للمستر ساترويت وهي تقرأ بصوت مسموع النبأ التالي في إحدى الصحف اليومية :

« يقيم المستر والمسرز انكركتون في بيتها جرينواي هاوس حفلة في نهاية هذا الأسبوع ، وسيكون من بين المدعوين : الليدي سيفثيا دريج ، والمستر رتشارد سكوت وزوجته والميجور بورتر ، والمستر ستافرتون ، والكابتن الينسون ، والمستر ساترويت . »

ثم أردفت قائلة وهي تطرح الصحيفة جانبا :

— من الخير ان يعرف الانسان من هم المدعوون الذين سيكون بينهم في حفلة ما .

وأوما لها المستر ساترويت برأسه موافقا ، بينما استطردت هي قائلة :

- مثلا ، هل تعرف المستر رتشارد سكوت ؟
- نعم ، نعم .. اليس هو صياد الوحوش المشهور ؟

- إنه هو ، صياد « النمر والسباع » كما تقول الأغنية ، وهو نفسه  
سبع كبير ، ولا شك ان آل أنكرتون مسرورون بقبوله الدعوة ، ثم  
هناك عروسه الحسناء ، إنها طفلة جذابة فاتنة لا يزيد عمرها عن عشرين  
عاماً ، بينما لا يقل هو عن الخامسة والأربعين من العمر . يا لها من  
مسكينة !

وكانت الليدي سيلثيا نفسها سيدة في نحو الأربعين ، تسرف في وضع  
مساحيق الزينة على وجهها الجامد الحازم ، الذي تطلع اليه سارويت ،  
وهو يسأل مندهشاً :

- مسكينة ! لماذا !

فألقت الليدي عليه نظرة غاب ..  
ولكنها استطردت تقول :

- أما الميجور بورتر ، فلا بأس به . إنه أحد صيادي الوحوش في  
أفريقيا ، ملوح الوجه ، هادئ ، قليل الكلام ، صديق حميم لرتشارد  
سكوت ، كما انه معجب به كل الإعجاب ، وأنا أعتقد انه كان معه في  
تلك الرحلة .  
- أية رحلة ؟

- الرحلة داخل افريقيا التي أعدتها مسز ستافرتون . أخشى ان تقول انك  
لم تسمع أيضاً عن مسز ستافرتون ؟  
- بل سمعت عنها .

فغمزت الليدي بعينها وقالت :

- ما كان ينبغي ان يجمع آل أنكرتون في حفلتهم بينها وبين  
رتشارد سكوت بعد ان تزوج أخيراً . فقد كانت مسز ستافرتون في  
تلك الرحلة الأفريقية ، ولاكت الألسن الأقوال عن علاقتها الغرامية  
برتشارد ..



ولكن المهم هو كيف قبلت هذه المرأة دعوة آل أنكرتون !  
- لعلها لم تعرف ان رتشارد وزوجته سيكونان من المدعويين !  
- إنها تعرف ذلك تماما . وأعتقد انها امرأة خطيرة لا تتراجع عن هدف  
من أهدافها . إني أرثي لرتشارد منذ الآن .

- وزوجته ؟ . هل تعرف شيئا عن علاقة زوجها السابقة بالمسز  
ستافرتون ؟

- لا .. ولكن تأكد ان بعض المدعويين سيتطوعون لإخبارها ، عاجلا  
او آجلا . آه هذا هو جيمي الينسون . ياله من شاب لطيف .. فقد  
كان لطيفا جداً معي أثناء زيارتي لمصر ، في الشتاء الماضي . ها جيمي ..  
تعال هنا .

فأطاع السكابتن الينسون وجلس معها في الشرفة .

وكان شابا في الثلاثين من عمره ، وسيما ، لطيفا ، يتمتع بأسنان فاصصة  
البياض .

وقد قال في مرج :

- يسرني إني وجدت من يريدني ، فإن المدعويين جميعا مشغولون في هذه  
اللعبة او تلك . وقد خشيت ان تهتم مضيقني ، مسز انكرتون ، بأمرى ..  
فتكون الطامة الكبرى .

فضحكت الليدي سينثيا بينما استطرده جيمي قائلا :

- وأسوأ من هذا ، خشيت ان تقص علي مسز انكرتون ، قصة  
شبح الأسرة .

فصاحت الليدي سينثيا قائلة :

- شبح أسرة انكرتون يا للهول !!

وهنا قال مستر ساترويت بهدوء :

- لا ، ليس شبح آل انكرتون . إنه شبح آل جرينواي ، الذين

كانوا يملكون هذا المنزل .. فقد اشترى انكروتون ، هذا البيت ،  
والشبح معه ا

- آه ، اني اتذكر الآن ا ولكنه ليس شبحا يفاحى المقيمين  
في البيت بصليب سلاسه .. وإنما هو ، على ما أذكر ، شبح  
نافذة ا

فقال الكابتن الينسون في دهشة :

- نافذة ١٢

ولم يحب المستر ساترويت عندئذ ، وإنما كان مشغولاً بالنظر إلى ثلاثة  
أشخاص متجهين نحو المنزل : فتاة ممشوقة القوام بين رجلين كل منهما طويل  
القامة ، ملوح البشرة ، سريع النظرات ، وفيما عدا هذا ، فلم يكن  
ثمة تشابه .

إن أحدهما الرحالة رتشارد سكوت ، وكان رجلاً قوي المظهر ، عارم  
الشخصية ، جذاباً في سلوكه وتصرفاته . أما الميجور بورتر ، صديقه وزميله  
في الصيد ، فكان جامد الوجه ، هادئ السمات ، تتم عيناه الزرقاوان على  
التفكير والتأمل المستمر . وبينهما كانت تسير ميسورا سكوت ، عروس  
رتشارد التي توجها قبل ذلك بثلاثة أشهر ، وكانت فتاة ممشوقة القوام ،  
ذات عينين واسعتين كستنائيتين ، وشعر ذهبي اللون ، يميل إلى الحمرة ، ويدور  
حول وجهها كأنه هالة من نور .

فقال ساترويت لنفسه :

« لا ينبغي أن تصاب مثل هذه الطفلة بأي سوء . إن من العار ان تعاني  
طفلة كهذه من شرور البشر » .

وحيت الليدي سينثيا القادمين بيدها وبفيض من عبارات الترحيب ،  
ثم قالت :

- إجلسوا ولا تقاطعوا مستر ساترويت ، فسوف يقص علينا

قصة شيخ ا

فقال رتشارد سكوت :

— شيخ جرينواي ؟

— نعم ، أتعرف قصته ؟

— نعم ، كنت أردد من قبل على هذا البيت قبل أن يبيعه آل اليوت ،  
وهم يسمون الشيخ « الفارس الرقيب » اليس كذلك ؟

وهنا تمت زوجته بصوتها الناعم قائلة :

— الفارس الرقيب ؟ يبدو ان القصة ممتعة حقاً ، حدثنا عنها يا مستر  
ساترويت .

وحاول ساترويت أن يروغ ، بأن أوضح لهم انها قصة خالية من عامل  
التشويق ، ولكنهم ألحوا عليه .

فلم يجد مفرأ من الحديث فقال :

— أعتقد ان القصة الأصلية تدور حول فارس كان جـداً لأسرة  
آل اليوت . وكان لزوجته عشيق من حزب معارض وقد فر هذا  
العشيق هارباً مع الزوجة ، بعد ان قتل الزوج في إحدى غرف الطابق  
العلوي ، ولكن العشيقين ، أثناء فرارهما من البيت ، استدارا اليه ، فرأيا  
في نافذة الغرفة ، التي كانت مسرحاً للجريمة ، وجه الزوج القتيـل  
يراقبهما .

هذه هي الأسطورة كلها ، لكن الذي حدث بعد ذلك ، ان زجاج  
نافذة تلك الغرفة كان يبدو من قريب نظيفاً لا أثر للبقع فيه ، لكن الناظر  
اليه من بعيد يخيل اليه انه يرى وجه فارس رقيب يظهر خلفه .

فرفعت مسر سكوت رأسها ، ونظرت إلى واجهة المنزل ، وهي  
تسأل :

— أية نافذة هي ؟

— إنك لا تربتها من هذا المكان ، لأنها في الجانب الخلفي من المنزل .  
وقد كسيت جدرانها بالألواح الخشبية منذ أربعين عاماً تقريباً . وقد أغلقت  
الألواح النافذة من الداخل .

— ولماذا فعلوا ذلك ؟ فقد خيل لي أنك ذكرت ان الشبح لا يخرج  
من الغرفة .

— نعم ، ولكن الخرافات كثرت حول ذلك الشبح ، فأثر أصحاب المنزل  
السابقون وضع حد لتلك الخرافات .

وعندئذ استطاع بلباقة أن يدير دفة الحديث إلى موضوع آخر ، وهو  
موضوع الرجم بالغيب عن طريق الرمل ، أو ورق اللعب ، أو  
القواقع الجافة .

وهنا قال رتشارد ضاحكاً :

— لقد حاولت ميورا أن تغري غجرية من الراجمات بالغيب ، أن  
تنبئها عن المستقبل ، ولكن العرافة أعادت إليها النقود ، ورفضت أن  
تقول لها شيئاً .

فردت ميورا :

— لعلها رأت في صفحات مستقبلتي أحداثاً رهيبة ، فرفضت أن  
تصدمني بها .

فقال لها الكابتن الينسون بامعاً :

— أوه ! لا تركني إلى التشاؤم يا مسز سكوت ، فأنا أحد الذين يؤمنون  
بان أفراح الحياة بانتظارك دائماً .

فقال مستر ساترويت لنفسه :

« أرجو ذلك . لكن . »

وفجأة نظر أمامه بسرعة ، فرأى سيدتين تخرجان من المنزل ، إحداهما  
بدينة قصيرة ، سوداء الشعر ، ترتدي ثوباً من الحرير الأخضر ، والثانية

طويلة القامة ، ممشوقة القوام ، في ثوب من الحرير الأبيض . والسيدة الأولى كانت مسز انكرتون المضيئة ، أما السيدة الثانية فلم يكن ساترويت قد رآها من قبل .

فقالت المسز انكرتون في زهو :

— هذه مسز ستافرتون قد وصلت أخيراً ، أعتقد ان المدعوين جميعاً قد تكامل عددهم .

وركز ساترويت نظراته على مسز ستافرتون ، فرآها طبيعية في حركاتها وفي حديثها ..

فقالت لرتشارد سكوت في غير مبالاة :

— هالو رتشارد .. يخيل إلي إنني لم أرك منذ أجيال وأجيال ، وإنني أقدم أسفي ، حيث لم أتشرف بالحضور إلى حفلة زواجك أهذه عروسك ؟ لا شك انك يا عزيزتي قد مللت الجلوس مع أصدقاء زوجك الصيادين الملوحين الوجوه دائماً .

فردت ميورا برقة وخجل ، بينما كانت مسز ستافرتون تعجبها بنظرات سريعة ، ثم إذا بها تتحول بسرعة إلى الكلام مع الليدي سينشيا بنفس البساطة والخفة .

فأدرك ساترويث انه أمام امرأة خطيرة حقاً تعرف كيف تخفي مشاعرها خلف ستار من اللطف والنعومة . امرأة ذهبية الشعر ، عيناها زرقاوان وصوتها ذو رنين خاص ، كما أنها مضيئة بالابتسام .

وجلست ايريس ستافرتون لتغدو ، منذ اللحظة الأولى ، موضع اهتمام الجميع وهذا ما أدركه ساترويث على الفور .

وتذكر فجأة ان الميجور بورتر عرض عليه أن يتمشياً قليلاً في الغابة المجاورة ، ومن ثم نهض وأوماً له ، وما لبثا ان سارا في المر المؤدي إلى خارج المنزل .

فقال الميجور :

— إن قصة الشبح التي حدثت بها الآن عجيبة حقاً .

— لسوف أطلعك على النافذة ، التي كان شبح الفارس ، يظهر من وراءها .

ومضى به إلى الجانب الغربي من المنزل ، وهناك كانت حديقة صغيرة تابعة للمنزل ، تسمى « الحديقة الخاصة » لأنها محجوبة عن الخارج بسور مرتفع تعلوه النباتات المتسلقة .

وحتى المر المؤدي اليها كان حلزونياً متعرجاً يحف به السور المرتفع ذو النباتات المتسلقة .

وعندما يدخل الإنسان إلى هذه « الحديقة الخاصة » يحسد أنه في عزلة تامة عن العالم ، وأنه أصبح في عالم خاص جميل ، كله زهور وشذى وخضرة دائمة .

وعندما بلغا منتصف الحديقة ، أشار ساترويت إلى المنزل الذي كان يمتد من الشمال إلى الجنوب أما الجانب الغربي الضيق ، فقد كانت ثمة نافذة في الطابق الأول ، الذي يعلو الطابق الأرضي ، تكاد النباتات المتسلقة تبلغ حافتها . وظهر أن زجاجها مغلف ، من الداخل ، بألواح خشبية .

فقال ساترويت مشيراً اليها :

— تلك هي النافذة ، إن الألواح الخشبية الداخلية تخفيها من داخل الحجرة .

واشرأب الميجور بورتو بعنقه ، ثم قال ، وهو يحمل في زجاج النافذة :

— ها ! إنني لا أرى أكثر من لون حائل ، في أحد الألواح الزجاجية .. لا أكثر .

- لأنك شديد القرب من النافذة .. ولكن هناك مرتفعاً خالياً من الشجر ، في الغابة القريبة ، يمكنك منه أن تلقي نظرة على النافذة من بعيد .

ومضى مع بورتر إلى خارج الحديقة الخاصة ، ثم انعطف يساراً وتقدم في الطريق إلى الغابة .  
وكان يقول في طريقه ، بحماس :

- لقد أنشأوا نافذة أخرى في الجانب الجنوبي من المنزل ، أي الجانب الذي كنا نجلس فيه منذ لحظات . ويلوح لي أن رتشارد سكوت وزوجته سينزلان في هذه الغرفة بالذات ، مما جعلني أمتنع عن الاستطراد بالكلام عن الشبح .

فقد خشيت ان تضطرب أعصاب مسز سكوت حين تعلم أنها قنাম في غرفة مسكونة بشبح قتيل .  
- آه .. فهمت ..

ونظر ساترويت إليه بسرعة ، فأدرك من سمات الشرود البادية عليه ، أنه لم يسمع منه كلمة واحدة .  
فاستطرد يقول كأنما يحدث نفسه :  
- نعم . ما كان ينبغي ان تحضر إلى هذا البيت أبداً .

وكان الناس عادة يتحدثون هكذا مع ساترويت باعتباره شخصية سلبية لا وزن لها في مشكلات الحياة .  
ولكنه قال ، متجسّاباً في الحديث ، وهو يظنه يتحدث عن مسز ستافرون :

- هل هذا رأيك ؟

- لقد كنت مشتركاً في تلك الرحلة .. رتشارد وأنا وإيريس ستافرون ، إنها امرأة رائعة ، وصيابة بارعة .. فلماذا دعوها إلى هذه

## الحفلة ١٩

فهز ساترويت كتفيه قائلاً :

— ربما لجهلهم بالحقيقة .

— سوف يحدث بعض الاضطراب ، وينبغي ان نكون على حذر ومستعدين

لبذل كل جهدنا كي تمر نهاية الأسبوع على خير .

— ولكن مسز ستافرون لا شك ؟

— إني أتحدث عن سكوت ، أترى ان مسز سكوت العروس الشابة يجب

أن نهتم بأمرها إذا هي عرفت الحقيقة .

وبعد برهة صمت قال ساترويت :

— كيف التقى رتشارد سكوت بعروسه ؟

— في الشتاء الماضي : في مصر . واشتغل لطيب الحب بينهما سريعاً ، وتمت

الخطبة في ٣ أسابيع ، والزواج في ٦ أسابيع .

— الواضح انها فتاة جذابة .

— إنها فعلاً جذابة وجديدة ، وهو يقدسها .. ولكن هذا لا يعني

شيئاً .

وفجأة عاد يقول بلمهة من يحدث نفسه :

— اللعنة على كل شيء .. ما كان ينبغي ان تحضر ا

وكانا قد وصلا عندئذ إلى المرتفع في الغابة ، فاستدار ساترويت وأشار إلى

النافذة قائلاً :

— أنظر ا

ورغم شفق الغروب ، فقد كانت النافذة واضحة ، وكان يبدو أن وجه

رجل يطل من وراء الزجاج ، وعلى رأسه قلنسوة فارس عليها ريشة طائر ،

فقال بورتر :

— هذا عجيب .. عجيب جداً . ، ماذا يحدث مثلاً ، إذا تحطم هذا



اللوح الزجاجي ؟

فابتسم ساترويت قائلاً :

- هذه إحدى الجوانب المدهشة في القصة ، إن لوح الزجاج هذا استبدل إحدى عشرة مرة ، وربما أكثر . وكانت آخر مرة منذ اثني عشر عاماً ، ولكن البقع التي يتكون منها شكل وجه الشبح لا تلبث أن تظهر ثانية ، وهي لا تظهر دفعة واحدة وإنما تنتشر انتشاراً تدريجياً حتى يتكون شكل الوجه والقلنسوة خلال شهرين عادة .

وللمرة الأولى لاح الاهتمام الشديد على وجه الميجور بورتر ، فسرت في جسمه رعدة خفيفة وهو يقول :

- شيء عجيب ! وكم من الظواهر في الحياة ليس لها تعليل . لكن ما نفع وضع الواح الخشب وراء الزجاج إذن ؟

- إنتشرت إشاعة بأن الغرفة منحوسة ، فقد كان إفشام مقيماً بها عندما طلق زوجته . وكان ستانلي وزوجته مقيمين بها عندما نزلا ضيفين على إفشام فلم يلبث ستانلي أن هرب مع فتاة من بنات الليل .

فرفع بورتر حاجبيه في دهشة وقال :

- فهمت .. إن الخطر في الغرفة ليس على الحياة ، وإنما على الأخلاق ؟

فقال ساترويت لنفسه :

« ويقيم بها الآن سكوت وامراته . ترى ماذا سيحدث ؟ »  
وسارا في طريق العودة إلى المنزل صامتتين ، كل منهما يسير في سكون على العشب الأخضر مستغرقاً في أفكاره .

وحينما كانا ينمطغان في الممر المؤدي إلى الحديقة الخاصة سمعا صوت ايريس ستافرون ينساب وهي تقول بحدة :

- ستندم على هذا .. نعم سأدعك تندم على هذا !

ورد سكوت بصوت خافت مضطرب غير مسموع .  
ومرة اخرى ارتفع صوت ايريس ستافرون عنيفاً حاداً من قلب الحديقة الخاصة :

- الغيرة ؟ إنها تدفع بالإنسان إلى الجحيم .. إنها الجحيم نفسه .  
فهي قد تدفع المرء إلى ارتكاب جريمة قتل . فكن على حذر يا رتشارد .  
نعم ، كن على حذر .

وعندئذ خرجت أمامهما من « الحديقة الخاصة » ، ثم انحرفت عند منعطف المنزل ، دون أن تراهما ، وسارت بسرعة وخفية ، وكأنها هي تجري خائفة من شيء .

وفكر سارويت مرة أخرى في كلمات الليدي سينثيا . حقاً إن هذه المرأة خطيرة .

وشعر لأول مرة بذلك الإحساس الذي يجعله يتوقع حدوث مأساة في وقت قريب .

لكنه في ذلك المساء جعل من مشاعرة المنطوية على الخوف والتشاؤم ، فقد بدا كل شيء طبيعياً لطيفاً .

فلأيريس ستافرون لا يبدو عليها أي توتر عصبي وهي تتحدث بطريقة البسيطة الرقيقة ، وميوراسكوت بقيت كما هي حلوة جذابة ، لا أثر عليها لاضطراب أو خوف . بل إنها كانت تتحدث في مودة مع ايريس وكأنها صديقتين . بل إن رتشارد سكوت نفسه ، كان يبدو مبتهجاً سعيداً .

أما مسز انكرتون ، فكانت هي الوحيدة ، التي تبدر عليها الهموم والقلق .

فقالت للمستر سارويت على انفراد في النهاية :

- لملك ستتمني بالحماسة والسخف ، ولكنني أشعر بخوف شديد رغماً عني

وقد أرسلت إلى صانع الزجاج دون ان أخبر زوجي بالأمر .  
- صانع الزجاج ؟

- نعم . ليضع لوحاً جديداً من الزجاج في تلك النافذة . إن زوجي  
نيد فخور بقصة الشبح الذي يسكن منزله ، ولكني لا أشاركه هذا  
الفخر ، ولذا فقد أرسلت لاستدعاء صانع الزجاج ليضع لوحاً جديداً نظيفاً  
من الزجاج .

- ولكنك نسيت ، او لعلك لا تعلمين ان شكل وجه الشبح يرتسم على  
اللوح بعد شهر او شهرين .

- إنني أتحدى هذا الوجه ، وسوف أضع لوحاً جديداً من الزجاج كل  
شهر او كل أسبوع إذا لزم الأمر . إن ثمن هذه الألواح لن يؤدي إلى  
إفلاسنا على كل حال .

فقال ساترويت لنفسه :

« والآن على شبح هذا الفارس ان يجد طريقة أخرى ليستطيع التغلب بها  
على قوة المال ، » .

وشاء القدر في تلك الليلة ان يسمع ساترويت حديثاً آخر

فبينما كان صاعداً إلى غرفته ، رأى الميجور بورتر ومسر ستافرتون  
جالسين في ركن البهو الكبير ، بالقرب من السلم ، يتبادلان الحديث ، وكانت  
هي تقول بصوتها الذهبي :

- لم أكن أعرف ان سكوت وعروسه من بين المدعويين ، ولو كنت  
أعرف لما حضرت . ولكني أؤكد لك يا عزيزي اني لن أهرب من هذا الموقف  
ما دمت قد حضرت ..

ومضى ساترويت في طريقه ، بعيداً عن مرمى السمع ، وهو يقول  
لنفسه :

« ترى ، أهي صادقة في حديثها ؟ أحقاً لم تكن تعرف ان رتشارد

سكوت بين المدعويين؟ » .

وفي الصباح ، وفي ضوءه الصافي ، أحس انه بالغ في مخاوفه وأوهامه في الليلة السابقة .

ولا شك ان كل ما خامره كان ناتجاً من توتر أعصابه ، او لعل خمول الكبد عاوده مرة أخرى .

نعم .. انه الكبد . إن عليه ان يئذي للاستشفاء في كارلسباد في أول فرصة .

وعند الغروب إقترح على الميجور بورتر ان يتمشياً مرة أخرى في الغابة ، وأن يمضيا إلى المرتفع ليريا هل كانت مسز انكرتون صادقة في قولها انها ستغير اللوح الزجاجي في النافذة بآخر جديد ! ولكنه في الواقع كان يريد ان يستمتع برياضة المشي .

ومشى الاثنان ببطء في الغابة ، وكان الميجور بورتر كالمعتاد متحفظاً ، قليل الكلام .

أما ساترويت ، فقد قال على سبيل المهادنة :

— لا يسعني إلا ان أشعر بأننا كنا واهمين ، حين توقعنا حدوث شيء خطير أمس . فالمعروف ان الناس عادة يكتمون مشاعرهم الخاصة في مثل هذه الظروف ، ويحاولون أن يحسنوا السلوك ، مع الداعين والمدعويين ..

فقال بورتر :

— لعلك تعني الناس المتحضرين .

— ماذا تقصد ؟

— أقصد ان الناس الذين عاشوا فترات طويلة خسارج العالم المتحضر ، يرتدون احياناً إلى العالم الهمجي الذي تعودوا عليه

وبلغوا المرتفع في الغابة ، وهناك رأيا وراء زجاج النافذة وجه الشبح ،

وكان هذه المرة أقرب ما يكون إلى محيا لإنسان حي .  
فقال ساترويت :

- يبدو ان مسز انكركتون لم تجرؤ على تغيير اللوح .

- لا شك ان زوجها عارضها بشدة في هذا الشأن . إنه من الأشخاص الذين  
يفخرون بأشباح الأسر الأخرى . ولعله لم يشتري المنزل إلا لأنه مشهور بأن  
« الفارس الرقيب » يقيم فيه .

ثم أردف وهو ينظر إلى العشب المحيط به :  
- ألم يخطر ببالك يوماً ان المدنية خطيرة جداً .

فقال ساترويت بدهشة :

- خطيرة جداً !

- نعم ، لأنها خالية من سهامات الأمان لنفسي .  
وفي طريق العودة قال ساترويت للميجور :  
- إني لا أفهم تماماً ماذا تعني يا ميجور !

فضحك بورتر وقال :

- أتظن اني أخرف بما لا أعرف يا مستر ساترويت ؟ حسناً ، إن هناك  
أناساً يشعرون بقرب هبوب العواصف .. وهناك ، كما تعرف ، أناس يحسون  
بقرب وقوع أمور خطيرة . وأنا أشعر ان أموراً خطيرة ستقع الآن ،  
نعم ، يا مستر ساترويت .. أموراً خطيرة جداً . ربما تحدث في أية  
لحظة .. حالا .

وأمسك عن الكلام فجأة ، ووضع يده على ذراع المستر ساترويت ، وفي  
اللحظات القليلة التالية ، فوجيء كل منهما بصياح طليقين تاريين ، أعقبتهما  
صبيحة امرأة .

وهتف بورتر قائلاً :

- يا إلهي ! هلم نسرع .

وانطلق يمدو ، في الطريق إلى البيت ، والمستر ساترويت خلفه يلهث .

وفي لحظات كانا قد وصلا إلى الممر المؤدي إلى الحديقة الخاصة ، وفي الوقت نفسه كان رتشارد سكوت ومستر أنكرتون يقبلان من الجانب الآخر من المنزل نحو الحديقة .

وتوقف الرجال الأربعة أمام بعضهم البعض ، على الجانبين الأيسر والأيمن للحديقة الخاصة .

فقال أنكرتون وهو يشير بإصبعه إلى الحديقة :

— لقد صدر الصوت من .. منها .

وقال بورتر وهو يتقدمهم في المنعطف المؤدي إلى الحديقة :

— هلم نرى .

ولما بلغ مع أصحابه آخر منعطف في الممر المؤدي إليها ، توقف متسماً في مكانه ، واختلس ساترويت النظر من وراء كتفه ، بينما أرسل سكوت صيحة عالية .

كان ثمة ثلاثة أشخاص في قلب الحديقة الخاصة ؛ إثنان ، شاب وشابة ، ملقيان بحوار المقعد الحجري ، والثالثة ، مسر ستافرون واقفة بجانب السياج ، تنظر بعينين ملؤهما الفزع ، إلى شيء في يدهما اليمنى ! .

وصاح الميجور بورتر :

— إيريس ! إيريس ، ما هذا الذي في يدك بحق السماء ؟

فنظرت إليهم في دهشة وذهول ! .

ثم قالت في شيء من عدم الاهتمام :

— مسدس !

ثم أردفت قائلة بعد لحظة كأنها دهر :

- تناولته من أرضية الحديقة .

وتقدم مستر ساترويت إلى حيث كان انكرتون وسكوت راكعين  
بجانب الجسدين .

وكان سكوت يهتف قائلاً :

- أسرعوا بطلب طبيب . يجب أن يحضر حالا ! .

ولكن يد الموت كانت أسبق من الطبيب .. وهكذا ظل جسد الثابتين  
جس الينسون مسجى على العشب بجوار جسد ميورا سكوت ، بلا حركة  
أو حياة .

وكان رتشارد سكوت هو الذي تولى فحص الجسدين ، وتأكد من  
موتهما .

وقد بدا واضحاً انه يتمتع بأعصاب حديدية ، وانه بعد صيحة الألم  
والدهشة الأولى ، استرد زمام أعصابه بسرعة .

قال وهو بعيد وضع جسد امرأته على العشب برفق :

- أصابتهما الرصاصة من الخلف .. فقد نفذت من ظهرهما إلى  
صدرهما .

ولما فحص جيمي الينسون لقي ان الجرح في صدره ، وان الرصاصة  
أصابته من أمام واستقرت في جسمه .

فقال بورتر بحزم وهو يقترب منه :

- لا ينبغي ان يلمس أحد شيئاً : فالواجب ان يجد البوليس كل شيء  
كما حدث .

وبرقت عينا رتشارد سكوت بنيران الغضب ، وهو ينظر إلى مسز  
ستافرتون ويقول :

- البوليس !

ثم تقدم نحوها ، ولكن بورتر اعترض سبيله ، وراح يتبادل معه

النظرات الحادة برهة .  
ثم قال وهو يهز رأسه :  
- لا ، يا رتشارد .. إن المظاهر تدل على أنها هي .. ولكنك مخطيء  
في ظنونك !

- إذن لماذا ؟ لماذا كان المسدس في يدها ؟

وهنا قالت إيريس في لهجة الدفاع عن نفسها  
- لقد تنازلت من أرضية الحديقة !

وقال أنكرتون :

- البوليس !. يجب استدعاء البوليس فوراً .. ويجب ان يبقى  
أحدنا هنا

وتطوع ساترويت بأن يبقى في مكان الحادث ، حتى يأتي رجال  
البوليس .

وقبل المضيف هذا العرض ثم قال :

- يجب إبلاغ الأمر للسيدات .. نعم ، لليدي سينثيا ، ولزوجتي  
العزيزة .

وبقي ساترويت في الحديقة الخاصة ينظر إلى الجثتين ، ويقول لنفسه  
في أسف :

« مسكينة أنت أيتها الطفلة . فقد ذهبت في عمر الزهور ! »

وفيا هو يتأمل وجهها الصغير ، ونصف الابتسامة التي لا تزال باقية على  
ثغرها ، وشعرها الذهبي المشعث ، وأذنها الدقيقة الرقيقة ، لاحظ وجود  
بقعة من الدم على شحمة الأذن .

وأحس في أعماق نفسه بالرغبة في الاستنتاج والاستدلال ، كما يفعل  
رجال المباحث ، ومن ثم إستنتج ان هذه البقعة ناشئة من قرط كان في  
تلك الأذن .



نعم ، هذا صحيح ، لأنه رأى في الأذن الأخرى قرطاً صغيراً عبارة  
عن حبة لؤلؤ في مشبك ذهبي .

\* \* \*

وقال مفتش البوليس ونكفيلد بعد ان سأل الجميع ، ثم جلس معهم في  
البهو الكبير :

- والآن يا ميجور بورتر ، أفهم انك كنت عائداً من الغابة مع مستر  
ساترويت عندما سمعنا طلقين ناريتين ، ثم صيحة امرأة ، فاندفعنا تَجْرِيَانِ  
في الممر الملتوي المؤدي إلى الحديقة الخاصة من الناحية اليسرى للمنزل .  
اليس كذلك ؟  
- تماماً ..

- ومعنى هذا انه لو كان أحد أراد الهرب من الحديقة الخاصة لأتقي  
بك وبالمستر ساترويت ، أو بالمستر أنكرتون والمستر سكوت اللذين  
كانا مسرعين من الجهة اليمنى ، لأنه لا يوجد منفذ آخر ، للحديقة  
الخاصة .

- نعم يا سيدي المفتش ، هذا صحيح .

- حسناً جداً . وفي الوقت الذي كنتم فيه في الغابة ، كانت مسز  
أنكرتون وزوجها ، والليدي سينثيا جالسين في الممر الرئيسي المؤدي إلى  
البيت ، وكان المستر سكوت جالساً في غرفة البلياردو المؤدية إلى  
ذلك الممر .

وفي الساعة السادسة وعشر دقائق ، خرجت مسز ستافرون من  
المنزل وتبادلت حديثاً قصيراً مع الجالسين في الممر ، ثم انعطفت عند ركن

المنزل في طريقها الى الحديقة الخاصة .

وبعد دقيقتين دوت الطلقات الناريان ، فاندفع مستر سكوت ومستر انكرتون في طريقهما الى الحديقة الخاصة من الناحية اليمنى للمنزل ، وفي نفس الوقت كنت انت يا ميجور بورتر مع مستر ساترويت تندفعان اليها من الجهة الأخرى ، اليسرى .

وهنا رأيتم جميعاً مسز ستافرتون واقفة والمسدس الذي انطلقت منه الرصاصتان في يدها اليمنى .

وكما أفهم ما حدث ، أقول انها أطلقت أولاً رصاصة على مسز سكوت في ظهرها وهي جالسة على المقعد الحجري ، فلما وثب الكابتن الينسون مندفعاً اليها ، أطلقت الرصاصة الثانية في صدره .

وقد فهمت انه كان ثمة علاقة عاطفية سابقة بينها وبين مستر سكوت .

فقال بورتر بصوت أجش كله التحدي :

– هذه أكذوبة لعينة .

وهز المفتش كتفيه بينما قال ساترويت :

– وما هي أقوال مسز ستافرتون ؟

– قالت انها ذهبت الى الحديقة الخاصة ، لتنفرد بنفسها برهة ، وفيما

هي تمر عند آخر منعطف في مدخل الحديقة سمعت الطلقتين الناريين ، فأسرعت الى مكان الصوت ورأت المسدس على الأرض ، فتناولته ، ولم تر في الوقت نفسه أحداً داخل الحديقة او خارجاً منها ، وانما رأت فقط المصابين ملقحين بجوار المقعد الحجري .

هذه هي أقوالها التي أصرت على الادلاء بها رغم اني حذرتها من الادلاء بأي شيء الا بحضور محام لها .

وهنا قال الميجور بحزم واصرار .

– اذا كانت هذه هي أقوالها ، فهي صادقة .. فأنا أعرف ايريس

متأفرون

— حسنًا يا سيدي ، ان الوقت متسع لإثبات براءتها فيما بعد . أما الآن ، فإن علي واجباً ينبغي ان أؤديه .

وبحركة سريعة ، التفت الميجور بورتر إلى المستر ساترويت ، ثم قال له :

— أنت ؟ ألا تستطيع ان تساعدنا ؟ ألا يمكنك أن تقوم بشيء لإثبات براءتها ؟

وأحسن ساترويت بالزهو يلاً نفسه ، ولا غرر ، فهذا هو رجل معروف في الوسط الاجتماعي ، يلجأ اليه ، ويلتمس منه المساعدة .

وقبل ان يقول شيئاً ، أقبل رئيس الخدم تومبسون ، يحمل على صحفة من فضة ، بطاقة قدمها إلى سيده المستر انكرتون الذي كان متمالكاً في مقعده ثم قال :

— حاولت ان أعتذر للسيد بأنك مشغول الآن ، لكنه أصر على مقابلتك قائلاً ان بينك وبينه موعداً .

فنظر انكرتون إلى البطاقة ثم قال :

— مستر هارلي كوين آه ، نعم لقد حددت له موعداً لمقابلته بشأ واحد اللوحات الفنية ، لكن الظروف الآن ..

وهنا هاتف مستر ساترويت قائلاً :

— أتعلم هارلي كوين؟ ما أعجب هذا ! لقد طلبت المساعدة مني يا ميجور وأعتقد ان في مقدوري تحقيق طلبك . إن مستر كوين صديق لي ، وهو شخصية ممتازة في مثل هذه الظروف .

وقال المفتش في لهجة لا تخلو من تهكم :

— أظن ان أحداً كشف الغموض عن الجرائم المعقدة؟

— لا . ليس أحد الهواة ، وإنما هو رجل له قدرة عجيبة على ان يجعلكم

ترون بأعينكم ما كان يجب ان تروه ، وان تسمعو بأذانكم ما كان ينبغي أن تسمعوه . ولن يضيرنا شيء إذا نحن عرضنا عليه الخطوط الرئيسية للأساسة ثم نعرف ماذا سيقول لنا .

ونظر مستر انكروتون إلى المفتش الذي رفع عينيه إلى السقف ساخرأ ، ثم أوما برأسه إلى رئيس الخدم تومبسون .

فغادر هذا البهو ، ثم عاد ومعه مستر كوين ، بقامته الطويلة ، وجسمه النحيل .

وقال مستر كوين ، بعد ان صافح مستر انكروتون ، وحيا برأسه الجميع :

- إنني آسف لحضوري في هذا الوقت ، يا مستر انكروتون ، وأظن انه ينبغي ان نهمل الآن حديثنا البسيط عن اللوحة الزيتية . آه ، هوذا صديقي مستر ساترويت . أعتقد انك لا زلت مشغولاً بما يجري على مسرح الحياة كمادتلك

فقال ساترويت وهو ينظر إلى مستر كوين الذي كان يبتسم :  
- مستر كوين ، اننا الآن في خضم إحدى مسرحيات الحياة . وإني وصديقي الميجور نريد ان نعرف رأيك في أحداثها .

وبعد ان ذكر له تفاصيل ما حدث ، هز مستر كوين رأسه وقال :  
- هذه مأساة مؤلمة واعتقد ان انتفاء الباعث على القتل يجعلها شديدة الغموض

فحملت انكروتون في وجهه قائلاً :  
- انك لا تدرك حقيقة الموقف فقد سمعت مسز ستافرتون وهي تهدد مستر سكوت كانت شديدة الغيرة من زوجته ، والغيرة .

- إني اتفق معك . ان الغيرة عاطفة مدمرة ، ولكنك أخطأت فهم كلماتي ، اني كنت أعرب عن أسفي الشديد لمقتل الكابتن جيمس الينسون .

وهنا هاتف الميجرر قائلاً

- انك على حق . ان مقتل السكابتين يشير الشك في المأساة كلها . فإذا كانت مسز ستافرتون قنوي قتل مسز سكوت ، لاستدرجتهما . بفردهما إلى مكان آخر .

نعم- . إننا نسير في الطريق الخطأ . وأنا أعتقد ان هناك وجهاً آخر للموضوع . وأنا اعترف ان هؤلاء الأشخاص الثلاثة ذهبوا الى الحديقة الخاصة قبل وقوع الحادث : جس الينسون ، ومسز سكوت ، ثم مسز ستافرتون . .

ورأيي هو ان جس الينسون أطلق النار على مسز سكوت ، ثم على نفسه ، ثم وقع المسدس من يده حيث تناولته مسز ستافرتون عند دخولها عقب الحادث مباشرة .

فهمز المفتش رأسه وقال :

- هذا التعليل غير معقول . فلو ان السكابتين الينسون قتل نفسه ، اظهرت آثار البارود على ملابسه .  
- لعله أطلق النار على نفسه من مسافة ذراع .

- ولماذا يفعل هذا ؟ لا معنى لذلك . وعدا هذا ، فما هو السبب ؟

- ربما فقد صوابه فجأة ؟

وصمت بورتر وهو يشعر ان حجته ازدادت ضعفاً حتى هذا الحد .  
لكنه لم يلبث ان قال المستر كوين في تحد :  
- وأنت ما رأيك يا مستر كوين ؟

- اني لست ساحراً ، بل واسيت باحثاً جنائياً . ولكن يمكنني ان اقول اني أؤمن جداً بقيمة الانطباعات النفسية ، ففي الملاحظات العصبية ، تنقش في الذهن لحظة معينة ، او صورة معينة بعد ان تتلاشى جميع

الصور الأخرى .

ويبدو لي ان المستر ساترويت هو المراقب الوحيد ، المحايد ، في هذه  
المأساة . فهل يمكن ان تعود بذاكرتك يا مستر ساترويت وتخبّرنا عن أشد  
هذه اللحظات إثارة لنفسك ؟

هل كانت اللحظة التي سمعت فيها الطلقات النارية ، ام التي وقفت فيها  
تنظر الى الجسدين الهامدين ، ام التي رأيت فيها مسز ستافرتون واقفة والمسدس  
في يدها ؟

وركز ساترويت عينيه في وجه مستر كوين كأنه تلميذ امام استاذ ،  
ثم قال ببطء :

— لا ، ان اللحظة التي انطبعت في نفسي هي عندما وقفت انظر الى  
مسز سكوت بوجهها الصغير ، وشعرها الذهبي المشعث ، و .. بقعة الدم على  
شحمة أذنها .

وما كاد يقول هذا حق ادرك انه القى بما يشبه القنبلة ، واذا بمستر  
انكروتون يتمم ببطء :

— دماء على اذنها ؟ نعم . اني اذكر هذا .

— واعتقد ان قرطها لا بد انه انتزع من اذنها عندما سقطت على  
الأرض .

فقال بورتير :

— كانت راقدة على جنبها الأيسر . فلا شك ان الدم كان على اذنها  
اليسرى ؟

— لا ، بل كان على شحمة اذنها اليمنى .

وتنحنح المفتش وقال وهو يمد يده بشيء بسيط :

انه المشبك الذهبي للقرط .

— لقد عثرت على هذا في العشب .

فصاح بورتر قائلاً

- يا الهي ! لا يمكن ان يتحطم القرط هكذا بمجرد سقوطها على الأرض .  
الواضح انه انتزع من شحمة أذنها عنوة ؟  
- نعم ، لا شك في هذا ، ولا شك ان الرصاصة هي التي حطمت القرط ،  
وجرحت الأذن .

وهنا قال المفتش :

- لم تنطلق غير رصاصتين فقط . ولا يعقل ان تجرح رصاصة الاذن ثم  
ترتد لتنفذ من ظهرها . فإذا افترضنا ان احدى الرصاصتين جرحت الاذن  
وحطمت القرط ، فإنه لا يمكن ان تقتل السكابتين الينسون في الوقت ذاته . ما  
لم يكن واقفاً امامها مباشرة وجد قريب منها لا .. لا .. هذا لا يمكن  
الا اذا كانت ..

وصمت المفتش فجأة ..

- الا اذا كانت بين ذراعيه ! حسناً ! لماذا لا ؟

وتبادل الجميع نظرات الدهشة ذلك ان هذا الاحتمال لم يكن يخطر  
ببال احدهم .

فقال مستر انكروتون .

- لكن السكابتين الينسون لا يكاد يعرف مسر سكوت .

وقال مستر ساترويت لنفسه :

« من بدري ؟ لعلها كانا يعرفان بعضهما البعض دون ان نعلم ، فقد  
قالت الليدي سينثيا ان السكابتين الينسون كان لطيفاً معها زيارتها لمصر  
في الشتاء الماضي .

والتفت ساترويت الى بورتر وقال له :

- اخبرني ان مستر سكوت تعرف بزوجته في مصر ، في  
القاهرة ، في الشتاء الماضي ! فلعل الينسون تعرف عليها ايضاً في

ذلك الحين .

فقال انكروتون :

- ولكن كان يبدو عليهما هنا انهما لا يعرفان بعضهما البعض !

- لعلهما كانا يتظاهران بهذا لغرض معين .

فقال مستر كوين للمستر انكروتون :

- أترى ماذا اوضح لنا مستر ساترويت بملاحظته الدقيقة ؟ والآن جاء

دورك يا مستر انكروتون

- ماذا تعني ؟

- اعني اني لاحظت انك كنت مستغرقاً في أفكارك ، عندما دخلت

هذا البهو ، ولا بأس ان تخبرنا فيم كنت تفكر ، حتى لو لم يكن له علاقة بالمأساة .

فتردد انكروتون برهة ثم قال :

- الواقع اني كنت افكر في موضوع خرافي ، لا علاقة له بالحادثة ،

فقد اخبرتني زوجتي ، انها وضعت لوحاً زجاجياً جديداً في نافذة

الشبح .. واني لأشعر ، ان تغيير لوح الزجاج ، هو الذي جلب هذا

الانحس !

ولم يعلم انكروتون لماذا حلق في وجهه كل من الميجور بورتر ومستر

ساترويت الذي قال :

- أقول ان زوجتك وضعت لوح زجاج جديد في نافذة الشبح ،

فملا ؟

- نعم . في صباح هذا اليوم .

وهتف الميجور بورتر قائلاً :

- يا الهي ! لقد بدأت افهم الآن ! ان هذه الغرفة مكسوة الجدران

بالواح الخشب ، وليس بالورق الملون .



.. نعم ، لكن ما علاقة هذا بالموضوع ؟ !  
ولكن بورتر اندفع خارجاً من البهو والجميع يتبعونه ، ثم صعد  
فوراً الى غرفة الشيخ ، التي كان يقيم فيها سكوت وزوجته .

وكانت غرفة جميلة جدرانها مكسوة بالأواح مصقولة في لون الكريم ،  
وتحسر الميجور الألواح بيده وهو يقول انه وثيق من وجود مفتاح  
لباب سري .

وفجأة سمع الجميع طقطقة خفيفة . واذا جزء من الألواح يتحرك  
ويكشف عن الألواح الحائلة اللون في نافذة الشيخ ، وكان بينها لوح  
جديد نظيف .

وانحنى بورتر فجأة تم التقط من على الأرض ريشة نعام .  
ثم نظر الى المستر كوين ، وبادله هذا النظر ، وهو يوميء اليه  
برأسه .

وعبر بورتر الغرفة الى خزانة الملابس ، حيث وجد فيها عدداً من قبعات  
مسز سكوت ، فتناول منها قبعة عريضة الحافة مزينة بالريش

وبدأ مستر كوين يتحدث بهدوء

- لنفرض ان هناك رجلاً شديدة الغيرة بطبعه . رجلاً سبق ان اقام  
في هذا البيت اياماً او اسابيع ، وعرف سر الباب السري الذي يخفي نافذة  
الشيخ من داخل الغرفة

ولنفرض انه أراد ان يتسلى ، ففتح هذا الباب ونظر من وراء زجاج نافذة  
الشيخ الى الحديقة الخاصة ، فرأى زوجته بين ذراعي شاب من الضيوف فجح  
جنونه من فرط الغيرة ، ولكن ماذا يفعل ؟  
لقد ومضت بباله فكرة .

انه يذهب الى خزانة الملابس ، يأخذ منها قبعة ذات حافة عريضة  
مزينة بالريش ، وكان شفق المساء يتجمع في تلك اللحظة ، وقد تذكر

الأسطورة التي قدور حول شبح النافذة ، ومر ثم اطمأن إلى ان أي شخص يراه من الخارج ، سيحسبه شبح « الفارس الرقيب » .

وهكذا راح يراقب الزوجة والشاب ، حتى إذا رآهما متعانقين أطلق مسدسه عليهما ، وقتلها برصاصة واحدة نفذت من الزوجة واستقرت في صدر الشاب .

ولكنه أطلق رصاصة أخرى أظاحت بقرط الزوجة . والمعروف انه بارع في إطلاق النار وإصابة الهدف لأنه صياد مشهور . ثم القى بالمسدس من النافذة إلى الحديقة الخاصة ، واندفع عائداً إلى قاعة البلياردو ، ومنها إلى الحديقة مع مستر أنكرتون .

وهنا قال بورتر في دهشة :

- ولكنه تركها .. ترك مسز ستافرتون معرضة للاتهام . لقد وقف ساكناً ، وتركها تتحمل تهمة ارتكاب جريمة هي بريئة منها ، فلماذا . لماذا !

فقال مستر كوين :

- أعتقد اني أعرف لماذا ؟ أعرف بالاستدلال والاستنتاج . فليس لي مفر من هذا . أعتقد ان رتشارد سكوت كان يحب ايريس ستافرتون إلى حد الجنون . وقد بلغ من قوة حبه لها ان عاطفته اشتعلت حين رآها بعد فراق سنوات .

لقد اشتعلت عواطفه بالغيرة المجنونة هذه المرة . ذلك ان ايريس ظنت يوماً أنها أحبته ، ولكنها بعد ان عادت من رحلتها في قلب افريقيا أيقنت أنها أحبت شخصاً آخر .. الشخص الأفضل والأكثر اتزاناً ..

قال بورتر في ذهول .

- الشخص الأفضل ؟ هل تعني ؟

فابتسم كوين وقال :

- أعنيك أنت .  
ثم صمت برهة قبل ان يردف قائلاً :  
- لو كنت في موضعك ، لذهبت اليها الآن .. وأخذتها بين ذراعي .  
فرد بورتر بحزم :  
- سوف أذهب حالاً .  
ثم استدار وانطلق مسرعاً .. إلى باريس !

## علامة في السماء

أخذ القاضي ، يلخص القضية للمحلفين ، بعد الانتهاء من نظرها بقوله :

« والآن ، أيها السادة ، أوشكت أن أفرغ مما أريد أن أقوله لكم . فأمامكم الأدلة التي يمكنكم ان تعرفوا ما إذا كان هذا المتهم هو القاتل الحقيقي ليفيان بارتابي .. »

« فقد عرفت من أقوال الخدم الوقت الذي أطلقت فيه الرصاصة . وقد أجمعوا الرأي على هذا الوقت . وعرفت أمر الخطاب الذي أرسلته ليفيان بارتابي إلى المتهم في صباح اليوم الذي قتلت فيه ، وهو يوم الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر وقد اعترف المتهم بهذا الخطاب . وعرفت كيف أنكر المتهم ذهابه إلى منزل المجني عليها في ذلك اليوم ، في ديرنج هيل ، ولكنه لم يلبث ان اضطر للاعتراف بهذه الزيارة ، أمام الأدلة التي قدمها البوليس . »

ولا تقوم هذه القضية على أدلة مادية ملموسة ، ومن ثم عليكم أن

تصدروا حكمكم على أساس الدافع على القتل ، والوسائل ، والفرصة التي أغرت بارتكاب الجريمة ، وقد أقام محامي المتهم دفاعه على أساس أن شخصاً غريباً دخل غرفة الموسيقى بعد خروج المتهم منها ، وأطلق الرصاص على فيفيان بارثاني من نفس البندقية التي قال المتهم أنه ، المصادفة ، نسبها وراءه .

« وقد سمعتم السبب الذي جعل المتهم يستغرق نصف ساعة في العودة إلى منزله ، فإذا أبيتم أن تصدقوا كلامه ، واقتنعتم اقتناعاً لا يقبل أدنى شك ، أن المتهم أطلق ، عن عمد وسبق إصرار ، بندقيته من مسافة قصيرة على رأس فيفيان بارثاني قاصداً قتلها ، وذلك في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر سبتمبر ، فإن عليكم ، أيها السادة ، أن تصدروا حكمكم بالإدانة .

« أما إذا خامرتكم شكوك لها ما يبررها ، فإن واجبكم يقتضي إطلاق سراح المتهم .  
« وأنا الآن أطلب منكم أن تجتمعوا في غرفتكم ، وإن تتفقوا على الحكم ، وإن تخبروني به .

وغاب المحلفون في غرفهم نصف ساعة ، ثم هادوا وأصدروا الحكم الذي كان كل من في القاعة يتنبأ به وهو :  
« إدانة المتهم » .

وانصرف مساتر ساترويت من المحكمة على مضض وهو يفكر في هذا الحكم بوجه مقطب . لو أنها كانت مجرد قضية جريمة قتل من النوع الذي لا يثير اهتمامه عادة ، لما فكر في الذهاب إلى المحكمة ، ولكن هذه القضية القضية التي سميت قضية « وايلد » كانت تختلف عن مثيلاتها .

فالمعروف أن الشاب ماتن وايلد من النوع الذي يمكن أن يقال عنه أنه مذهب أو جنتلمان .

وكانت الضحية او المجني عليها شابة حسناء ، زوجة السير جورج بارثاني وهي معروفة في الوسط الراقي .

كان يفكر في هذا كله وهو يتجه نحو شارع هولبورن ، ومنه إلى شبكة من الشوارع المؤدية إلى حي سوهو .

وفي أحد شوارع هذا الحي ، دخل مطعماً صغيراً لا يتردد عليه إلا الطبقة الثرية بسبب ارتفاع مأكولاته . وكان جو المطعم من الداخل هادئاً ساكناً والضوء خافتاً ، كأنه محراب في معبد . أما اسم هذا المطعم فهو — آرليكشينو

ومضى ساترويت ، وهو لا يزال يفكر ، في طريقه داخل المطعم إلى المائدة التي تعود الجلوس اليها في احد الأركان .

ولكنه فوجيء بوجود شخص آخر جالس اليها ، فأراد ان يتراجع ، لكن هذا الشخص استدأر إليه فجأة .

وإذا بساترويت يقول :

— ليحفظني الله ! انه مستر كوين !!

وازداد انفعال مستر ساترويت ، وهو يرى أمامه تلك الشخصية الخفية العجيبة ، التي تنقله ، عند الأحداث الهامة ، من دور المتفرج على مسرح الحياة .. الى دور الممثل فوق ذلك المسرح نفسه . فجلس مبتهجاً الى نفس المائدة .

وبعد ان احضر الخدم طلباتهما ، قال :

— قد اتيت حالاً من محكمة اولد بيلي . إنها قضية مؤلمة .

— لقد قرر المحلفون إدانته !!

— نعم . بعد نصف ساعة من تبادل الرأي .

— بناء على الأدلة المقدمة اليهم ا ليس كذلك ؟

— ومع ذلك ا .

ولما تردد ساترويت برهة ، في إتمام كلامه .. أكمله مستر كوين  
قائلاً :

- ومع ذلك ، فأنت في جانب المتهم ؟ اليس هذا ما أردت ان  
تقوله ؟

- أظن ذلك . فإن مارتن وايلد شاب لطيف وسمي ، لا يكاد يخطر  
ببال احد انه يرتكب جريمة كمثلك . ومع ذلك فكم من شبان ظرفاء ارتكبوا  
من الجرائم ما يملأ القلوب بالفزع .

- والرأي الشائع عنه انه اراد ان يتخلص من عشيقته لكي يتزوج  
خطيبته !  
- نعم ولكن الأدلة .

- أوه ! اني لم احضر المحاكمة يا مستر ساترويت . كما اني لا أعرف عن  
الحياة الخاصة للمجنني عليها ولزوجها ولهم . ولكنني اعرف انك ،  
يا مستر ساترويت ، تعرف الشيء الكثير عن تلك الحياة . هلا اخبرتني  
بما تعرف ؟

ومرة اخرى ، احس ساترويت بالزهو ، وهو يحمد نفسه يؤدي دوراً  
رئيساً في احدى مسرحيات الحياة .

ومن ثم راح يسرد معلوماته عن فيفيان بارنابي ، زوجة السير جورج  
بارنابي ، الشابة الحسنة ، وعن علاقتها بالشاب مارتن وايلد ، وعن خطيبته  
سيلفيا ديل المقيمة في قرية قريبة تسمى ديرنج فيل .

وقد بدأ حديثه عن الحياة في قصر ديرنج هيل الذي يمتلكه السير جورج  
بارنابي ، فقال :

ان الرجل ، صاحب القصر كان في خريف العمر ، بخيلاً ، موفور  
الثراء ، شديد الفخر بثروته ، كثير الاهتمام بالتفاهات ، فهو مثلاً قد تعود  
دائماً ان يدفع اجور الخدم في صباح يوم الثلاثاء من كل اسبوع ، ويملاً ساعات

القصر بنفسه وبضبطها بعد ظهر يوم الجمعة من كل اسبوع ، ولا ينسى ان يخلق باب القصر الخارجي بنفسه كل ليلة . انه رجل حريص دقيق ، كثير الاهتمام بالصغائر .

وانتقل ساقرويت من الحديث عن السير جورج بارثاني الى الحديث عن زوجته الليدي بارثاني ، وهنا كان حديثه أكثر رقة . قال انه رآها مرة واحدة ، ولكنه شعر ، في هذه المرة أنها ، على جمالها الفائق ، كانت حزينة السمت ، غاضبة النفس ، ساخطة على حظها في الحياة .

-- هل كانت تكره زوجها ؟

-- نعم . أشد الكراهية . تزوجته قبل أن تعرف شيئاً عن مبلغ بخله وقنطيره وحقارة نفسه . وقد نددت بعد ذلك ، ولكنها لم تدرك ماذا تفعل ، فقد كانت فقيرة ، لا تملك شيئاً إلا ما تظفر به من زوجها ، وكان حريصاً جداً في منحها ما تريد من مال . وكانت هي شديدة الطمع مشغوفة بنرف الحياة .

وقابع ساقرويت يقول :

-- ولم أر مارتن وايلد قبل المحاكمة . ولكنني سمعت عنه ، كان يمتلك مزرعة صغيرة لا تبعد عن قصر ديرنج هيل غير مثل واحد . والتقت به ذات يوم ، أعني الليدي بارثاني ، فرأت فيه وسيلة للخلاص من زوجها ، فتعلقت به بمنف كما يتعلق الفريق بطوق النجاة .

حسناً ، لم يكن ثمة غير نهاية واحدة لعلاقة كهذه . ونحن نعرف الآن هذه النهاية .

لقد كان هو يحتفظ بخطاباتها اليه بينما كانت هي تمزق خطاباته اليها . ومن نصوص خطاباتها فهمنا أن حرارة حبسه لها بدأت تهدأ وتبرد في الأسابيع الأخيرة ، وقد اعترف هو بذلك قائلاً انه كان خاطباً لفتاة



جميلة لطيفة إبنة طبيب في قرية ديرنج فيل المجاورة . وقد شاهدها في المحكة  
شعراء ، هادئة السمات ، رزينة ومخلصة ..  
نعم ، كان الاخلاص ، لمارتن وايلد ، أهم الصفات التي لفتت الأنظار  
اليها .

وتوقف ساترويت برهة ، ونظر إلى مستر كوين كأنما يلتصق منه التشجيع  
ليستمر في حديثه .  
فلما رآه يبتسم تابع كلامه :

... لعلك قرأت رسالة الليدي الأخيرة إلى وايلد ، بعد ان نشرتها  
الصحف . إنها الرسالة المكتوبة في صباح يوم الجمعة ، الثالث عشر من  
شهر سبتمبر ، وكانت مفعمة بألوان من اللوم والعتاب والتهديدات الخفية ،  
وقد اختتمت بقولها :

« إنني أرجوك وأضرع اليك ، ان تأتي الليلة حوالي الساعة ٦ مساءً ، فسوف  
أترك الباب الجانبي مفتوحاً لك حتى لا يعرف احد انك حضرت إلي وسأكون  
في غرفة الموسيقى ،  
وقد أرسلت هذا الخطاب بواسطة أحد الخدم .

وتوقف ساترويت برهة قبل ان يستطرد قائلا :  
- وعندما قبض عليه ، أنكر مارتن وايلد ، في اول الأمر ، انه زارها  
في الموعد المحدد . ولكنه اضطر للاعتراف أمام الأدلة التي عثر عليها  
البوليس .

فقد قال انه أخذ بندقية وخروج للرياضة والصيد في الغابات المجاورة ،  
ولكن رجال البوليس قدموا اليه صور بصمات أصابعه على خشب الباب  
الجانبي ، وعلى إحدى كأسى الكوكتيل الموجودتين فوق المائدة بغرفة  
الموسيقى .

وهكذا اعترف انه زار الليدي بارثابي ، وكانت زيارة عاصفة تبادلا

فيها اللوم والالتهامات بالحياة والفدر ، واخيراً استطاع ان يهدى ثأرتها  
وقد أقسم انه نسي بندقيته مرتكزة على جدار بالقرب من الباب الخارجي  
وانه ترك الليدي على قيد الحياة .

وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة والرابع بدقيقة او دقيقتين ، ومضى  
إلى بيته فوراً ، هكذا قال !

ولكن الأدلة أثبتت انه وصل الى بيته في الساعة إلا ربعا ، وكما قلت  
الآن ، لم تكن المسافة تزيد عن ميل ، أي لا تحتاج إلى نصف ساعة  
لقطعها .. أما عن قوله انه نسي بندقيته ، فقد أبى أحد أن  
يصدق .

- ومع ذلك ؟

- ومع ذلك فليس في هذا أية غرابة ، من وجهة نظري ، فإن  
الإنسان عادة يكون في حالة اضطراب نفسي شديد بعد مقابلة عاصفة كالتي  
حدثت بين الليدي بارناي ومارقن وايلد .

فأية غرابة في ان ينسى أي شيء وهو منصرف بعد مقابلة كهذه في  
الطريق إلى بيته ؟

وصمت ساترويت برهة أخرى قبل ان يردف قائلا :

- ولكن المهم ليس هذا ، لأن المرحلة التالية من الحادث واضحة . فقد  
سمع صوت الطلقات النارية في تمام الساعة السادسة والثلاث . سمعه الخدم ،  
جميعاً ، الطاهية ومساعدتها ورئيس الخدم ، وخادمة القصر ، والخادمة  
الخاصة لليدي بارناي .. لقد هرعوا جميعاً الى غرفة الموسيقى حيث رأوها  
مكومة على مقعدها جثة هامدة ، لأن الطلقات النارية أطلقت عليها من قرب ،  
ومن خلف رأسها بحيث نفذت من جمجمتها .

ومرة أخرى توقف ساترويت عن الكلام .

فقال مستر كوين :

.. لقد أدلى الخدم بشهاداتهم طبعاً !  
.. نعم .. وكانت شهادة كل منهم ، مطابقة تماماً ، لشهادة  
الباقيين .

— ألم يشذ أحد عنهم ، أبداً ؟  
— أعتقد ان خادمة البيت أدلت بشهادتها في التحقيقات الأولية ، ثم  
سافرت إلى كندا ، فلم تحضر المحاكمة .  
— آه ، فهمت !

فنظر ساترويت بسرعة إلى وجه كوين وقد احس ان في لهجته وهو ينطق  
بالكلمة الأخيرة معنى خاصاً .  
فقال متحدياً :  
— ولماذا لا تسافر ؟  
وبعد ان هز كتفيه ، قال مستر كوين :  
— ولماذا سافرت ؟

وهنا عاد ساترويت إلى حديثه عن القضية قائلاً :  
— ولم يكن ثمة شك فيمن أطلق الرصاص ، ولكن الخدم لم يعرفوا كيف  
يتصرفون بسرعة . إذ انه لم يكن بالبيت من يولى إصدار الأمر ، وهكذا  
مرت لحظات قبل ان يفكروا في طلب رجال البوليس تليفونياً لكنهم وجدوا  
التليفون معطلا عن العمل .

— اوه ! كان التليفون معطلا !  
— نعم ، لا يدري أحد لماذا ؟ لأن الوفاة كانت سريعة ، فلم يكن ثمة أمل  
بانقاذ المجني عليها باستدعاء الطبيب ، فلماذا عطل الحاني التليفون إذا كانت  
المطل مقصوداً ؟

فلم يقل مستر كوين شيئاً ..  
فتابع ساترويت يقول :

— ولم يكن هناك أحد ابداً لا يعتقد تماماً ان مارتن وايلد هو الجاني  
فباعترافه أثبت انه غادر القصر ، بعد دقيقة او اثنتين ، من السادسة  
والربع مساء ، وقد سمع الخدم الطلقات النارية ، في الساعة السادسة  
والثلاث تماماً .

ومعنى هذا انه كان قريباً من البيت في الدقائق الخمس التي سبقت سماع  
الخدم للطلقات النارية .  
فمن الذي أطلق النار غيره ؟

لقد ثبت ان السير جورج بارنابي كان يلعب البريدج في منزل صديق  
يبعد عن منزله ببضعة منازل وقد انصرف من منزل صديقه في تمام  
السادسة والنصف ، حيث التقى به أحد خدمه عند بوابة القصر ،  
وأخبره بالنبأ .

وليس ثمة اي شك في هذا . أما هنري تومسون سكرتير السير جورج ،  
فقد كان في لندن في ذلك اليوم ، وكان مشتركاً في اجتماع خاص ،  
بشأن بعض الأعمال في الوقت الذي أطلقت فيه الرصاصات على الليدي  
بارنابي .

وهناك سيلفيا ديل ، خطيبة مارتن وايلد ، وقد ثبت انه لا شأن  
لها بالجريمة ، لأنها كانت عندئذ في محطة قرية ديرنج فيل تودع صديقة  
لها استقلت قطار السادسة وثمان وعشرين دقيقة الذهاب الى لندن . ولم  
يبق بعد ذلك غير الخدم .

ولكن ما هي البواعث التي تدفع أحدهم الى قتل الليدي بارنابي ؟ ومع  
هذا فقد هرعوا جميعاً ، دون استثناء ، إلى غرفة المجني عليها عندما سمعوا  
الطلقات النارية ، وعلى هذا لم يبق هناك أدنى شك في ان مارتن وايلد  
هو الجاني .

ورغم هذا ، كان صوت مستر سائرويت يبدل على انه غير مقتنع

بما يقول .

ومرت فترة من الصمت ، أخذ الرجلان خلالها يتناولان الطعام ، وكل منهما مستغرق في تفكيره .

وفجأة وضع ساترويت الشوكا والسكين من يديه ، وقال :  
- كيف يكون الحال ، إذا ثبت ان الشاب بريء بعد تنفيذ حكم  
الاعدام فيه ؟

فهمز مستر كوين كتفيه .

فقال ساترويت :

- ولكن .. لماذا ، كما قلت ، رحلت خادمة القصر . الى  
كندا ؟

- يمكنك ان تعرف لماذا يا مستر ساترويت ، بل يمكنك ان تعرف أي  
مكان في كندا اقامت فيه .

. اعتقد ذلك . فلا شك ان رئيس خدم القصر يعرف ، او سكرتير  
السير جورج .

- لكن ما شأني في ذلك كله ؟

وبعد برهة صمت أردف قائلاً في تردد :

- ان ذاك الشاب سيموت على حبل المشنقة بعد ثلاثة أسابيع ،  
على الأكثر .

- أوه . اني أعرف ماذا تعني ؟ انك تعني اذا كنت ارقاب في انه  
لم يقتل المجني عليها ، فمن واجبي ان اسمي كل جهد ممكن ، لإثبات  
براءته . والكنك اذا عرفت مكان الخادمة في كندا ، فان ذاك يقتضي  
ذهابي اليها .

.. ولماذا لا تسافر ؟ انك رجل موفور الثراء ، وخاله تماماً من أعباء  
الأسرة ومسؤولياتها ، وكندا بلاد جميلة جديدة بالسفر اليها لمدة اسبوع ،

او أكثر .

ثم لا تنس انك بهذه السفرة سوف تنتقل من مقاعد المتفرجين على  
المأساة الى قلب المأساة نفسها .

فمن يدري فلعلك تستطيع ان تجد في اقوال تلك الخادمة ما يثبت براءة  
ذلك الشاب المسكين .

وفكر ساروويت برهة ..

ثم قال :

- وإذا عدت من كندا فأين يمكن ان اجدك ؟

- ليس لي مقر ثابت ، في الوقت الحاضر ؛ ولكنني أنردد كثيراً  
على هذا المطعم .. فإذا كنت تتردد عليه مثلي ؛ فلا شك ؛ اننا  
سنلتقي حتماً .

واشتد انفعال مستر ساروويت .

وسرعان ما هرع إلى مكتب شركة كوك حيث استفسر عن مواعيد  
البواخر التي ستبحر إلى كندا .

ثم اتصل تليفونياً بقصر السير جورج بارناي ، حيث رد عليه رئيس الخدم  
فقال له :

- إن إسمي ساروويت ، وأتحدث من .. من مكتب توكيلات قضائية .  
وأحب ان أعرف بعض التفاصيل عن الخادمة الشابة التي كانت تعمل في  
القصر إلى عهد قريب .

- أتعني لويزا ؟ لويزا بولارد ؟

- نعم . نعم !

- أخشى يا سيدي ان أعجز عن تقديم أية خدمة لك في هذا الشأن . فقد  
رحلت إلى كندا منذ ثلاثة أشهر .

- هل يمكنك ان تذكر لي عنوانها هناك ؟

- لا أظن كل ما أعرفه انها تقيم في منطقة جبلية ذات اسم اسكتلندي آه ، اسم المنطقة « بانف » .  
وهي ، أي لويزا ، لم تكتب اليها أو إلى أحد رسالة ، كما انها لم تخبرنا بعنوانها الكامل .

ووضع ساترويت السهاعة بعد ان شكره ، وأحس ان روح المغامرة تزداد عنفاً في أعماق نفسه ، ومن ثم قرر الذهاب الى منطقة « بانف » هذه فإذا كانت لويزا هناك ، فلن يدخر وسعاً في البحث عنها ، والوصول اليها .

ولشد ما كانت دهشته حين وجد نفسه يستمتع بالرحلة البحرية إلى كندا

وفي منطقة « بانف » عثر بسهولة على محل إقامة لويزا بولارد ، وإذا هو يقف أمامها بعد يوم واحد من وصوله إلى المنطقة .

كانت امرأة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ، طويلة القامة ، قوية الجسم ، تم عيناها على البراءة والوفاء ، وعن شيء من الغباء .  
وصدقت بسرعة ما قاله لها عن رغبته في جمع بعض المعلومات الخاصة بمأساة ديرنج هيل .

وقد قالت في هذا الشأن :

- قرأت في الصحف ان الحكم صدر بإدانتته . يا للعسكين ، إنه لأمر محزن حقاً .

ورغم أنها كانت واثقة من إدانتته أيضاً إلا انها قالت :

- كل إنسان معرض لارتكاب جريمة كهذه ، وأنا لا أحب التحدث عن الموتى بسوء ، ولكنني أعتقد ان الليدي بارفاني هي التي دفعته إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة !

حسنًا ، فقد نال كل منهما عقابه !

فهذه شريعة السماء ، وكنت أعرف ان شيئاً خطيراً سوف يحدث في تلك الليلة . وقد حصل فعلاً .  
- وكيف عرفت ؟

- كنت في غرفتي بأعلى القصر ، أستبدل ملابسني ، وحانت مني نظرة خارج النافذة فرأيت القطار يمر ، تاركاً وراءه سحابة من الدخان ترتفع إلى السماء ، وصدقني إذا قلت ان تلك السحابة ظلت تتشكل حتى تكونت منها صورة يد ممدودة الأصابع ، كأنها يد القدر ، تريد ان تبطش بشيء .

وأحسست بالخوف وأنا أقول لنفسي . هذه علامة في السماء . لا بد ان شيئاً خطيراً سوف يحدث !  
وفي تلك اللحظة نفسها سمعت الطلقات النارية داخل القصر ، فقلت : آه ! لقد حصل الأمر الخطير .

فاندفعت من غرفتي ، وانضمت إلى زملائي المهتمين في القاعة الكبرى ، ودخلنا معاً إلى غرفة الموسيقى ، حيث رأينا الليدي بارتابي مقتولة بطلقات نارية في رأسها ، والدماء ممتلئة في كل مكان ..  
منظر رهيب ! وتحديث .. نعم .. أخبرت السير جورج بارتابي ، كيف توقعت حصول شيء خطير كهذا ، حين رأيت تلك العلامة في السماء .. و ..

وظلت تتحدث في موضوعات مختلفة ، وسأروني ينصت اليها في صبر ، ويحاول ان يردّها ، الى الحديث عن المأساة ، كلما ابتعدت عنه .  
وأخيراً أدرك انه ظفر منها بكل ما يمكن من معلومات ، وان حديثها ينم على الصدق وسلامة الطوية .

ولما فكر فيما سمعه منها ، وجد انه لم يظفر بشيء له أهمية خاصة ، ولكن الشيء الوحيد الذي أثار اهتمامه هو ضخامة المرتب الذي جعلها تقبل العمل



في كندا والرحيل في أسرع وقت من إنجلترا .

فقد ذكرت له ان الذي قام باجراءات ترحيلها على وجه السرعة ، مدير مكتب تخدم يدعى مستر وغان ، وهو يقيم في كندا ، وقد نهبها من كتابة أية رسالة إلى زميلاتها في إنجلترا « حتى لا توقع نفسها في مشكلات ، مع إدارة الهجرة » .

وقد تقبلت النصيحة منه بلا تساؤل او ارتياب .

وقرر ساترويت ان يزور ذلك المدعو وغان ، ولم يجد مشقة في العثور عليه او في تبادل الحديث معه .

وقد ذكر له مستر وغان انه زار إنجلترا في عام ما ، وان مستر تومبسون سكرتير السير جورج أدى له بعض الخدمات .

وقد شاء أن يرد له الجميل حين كتب اليه مستر تومبسون منذ ثلاثة أشهر يرجوه أن يجد عملاً في كندا للخادمة لويزا بولارد .

وقال له ان السير جورج سيضع بين يديه مبلغاً كبيراً من المال ليضيف منه كل أسبوع جزءاً على مرتب لويزا ، فيصبح مرتباً كبيراً يفرها على البقاء في كندا .

وأردف المستر وغان قائلاً ، وهو يتراخى في مقدمه الوثير ،  
باسماً :

— إنها المشكلة المعتادة طبعاً ، علاقة سريعة بين السيد والخادمة ، ثم يفارق السيد من نزوته ويسمى إلى ترحيل الخادمة إلى مكان بعيد ، تجنباً للفضيحة .

لكن ساترويت كان يعرف ان هناك شيئاً آخر ، أهم وأخطر ، جعل السير جورج بارثابي ، او سكرتيه تومبسون ، يعمل على إبعاد لويزا من إنجلترا بسرعة .

فلماذا ؟ وما هو السبب الخطير ؟

وعاد الى المجلثرا ، وهو يحاول معرفة ذاك السبب بالاستدلالات العقلية  
والتفكير المنطقي

\* \* \*

ومضى الى مطعم آرلييكشينو ، ذات ليلة ، وهو يشعر انه عاد من  
كندا فاشلا .  
ولم يكن يتوقع ان يلتقي ، من المرة الأولى ، بالمستر كوين جالسا كالمعتاد  
الى المائدة في ركن القاعة .  
ولكنه تنهد في ارتياح عندما رآه ، فجلس قبالته ، بعد ان تبادل  
التحية معه .

ثم قال وهو يتناول شطيرة زيد :  
- كانت الرحلة فاشلة تماما .  
- عجباً !!

وهنا حدثه بكل ما سمعه من لويزا بولارد ، ومن مدير مكتب الترخيم  
مستر ونمان .

فلما فرغ قال مستر كوين بهدوء :

- هل أنت واثق ، بأنك لم تظفر من لويزا ، بما تريد . من  
معلومات ؟  
- ماذا تعني ؟

- حسناً .. حسناً .. لقد رسمت لي صورة سريعة ، عن الحياة في  
قصر ديرنج هيل ..  
لكنك لم تحدثني عن أوصافه من الخارج !

- لا شيء عن أوصافه يشير الاهتمام . إنه قصر صغير مبني بالآجر ،  
يظهر من الخارج ريفياً ، ولكنه من الداخل رائع ..  
غرفات نوم مزودة بالماء الساخن والبارد ، والحمامات الخاصة ، والسجاجيد  
الفاخرة ، والأثاث الرائعة ..  
وهو يقوم وسط حديقة مساحتها فدانان ، ولا يبعد عن لندن إلا تسعة  
عشر ميلاً فقط .

فأنصت كوين بانتباه ثم قال :

- أعتقد ان مواعيد سير القطارات مضطرب في المنطقة ؟

- لا .. بل على النقيض ، انها مواعيد مضبوطة بالثانية وهي حقيقة أفا  
وائق منها تماماً .

- والقطار الذي يقوم من محطة ديرنج فيل التي بها مس سيلفيا ديل ،  
هل يمر في طريقه الى لندن على قصر ديرنج هيل ؟  
- نعم . لماذا ؟

- أتذكر انك قلت لي ان مس سيلفيا ديل كانت في وقت الحادث  
تودع صديقة لها ركبت قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة الذهاب  
الى لندن ؟

- نعم نعم . إن أقوالها ثابتة في محضر القضية .

- حسناً جداً . ألا تستطيع أن تجد علاقة بين تلك الحقيقة ،  
وبين ترحيل لويزا بولارد من البلاد بسرعة ، عقب وقوع الحادث ؟  
- ماذا تعني ؟ !

- ألا يظهر بوضوح ان الذي أمر بترحيلها يخشى ان تتمحدث في المحكمة  
بما تحدثت به اليك ؟

- أي حديث تعني ؟

- الحديث عما رأت .

- وماذا رأت ؟
- علامة في السماء !
- وحملق ساترويت في وجه مستر كوين .
- ثم سأله :
- أتؤمن بمثل هذه الأوهام يا مستر كوين ؟
- ربما . من يدري ؟ . فلعلها رأت ، في تلك اللحظة ، يسد  
العدالة !
- اوه ! ما هذا اللغو ؟ فقد اعترفت بنفسها انها لم تر غير سحابة من  
دخان القطار الذي كان يمر في تلك اللحظة .
- أي قطار ؟
- لا شك ، انه قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة ، الذاهب  
الى لندن ..
- ولكن ! ان ذاك غير ممكن ؟
- فهي سمعت في تلك اللحظة صوت الطلقات النارية داخل القصر ، وقد  
ثبت بالأدلة ان الطلقات النارية أطلقت في الساعة السادسة والثلاث ، لا  
السادسة والنصف !
- إذن كيف تفسر هذا التناقض في الأوقات ؟
- لعله كان قطاراً آخر ؟ قطار بضاعة مثلاً ؟
- لو كان الأمر كما تقول ، لما اضطر السير جورج او سكرتيه الى ترحيل  
لويزا بمثل تلك السرعة .
- وحملق ساترويت في وجه مستر كوين مندهشاً . بينما استطرد الثاني  
يقول بهدوء :
- هه ؟ . ما رأيك ؟ !
- اني لا زلت في حيرة . اذا كانت الرصاصات أطلقت على المجني عليها

في تلك اللحظة ، التي مر فيها قطار الساعة السادسة وثمان وعشرين دقيقة ، فلماذا أجمع الخدم ، على انهم سمعوها في الساعة السادسة والثلاث تماماً ؟

- لسبب بسيط ، وهو خطأ في الساعات ، التي حددت ذلك الوقت ا .

- جميع الساعات ؟ ان تلك مصادفة غير معقولة .

- اني لا أفكر في المصادفة ، وإنما في ان الحادث وقع ، في مساء يوم الجمعة ..

فقد قلت لي ان السير جورج كان حريصاً على ملء ساعات القصر بعد ظهر يوم الجمعة من كل أسبوع .

وهنا قال ساقرويت في رهبة وقد أدرك كل شيء :

- أي انه اخر جميع الساعات عشر دقائق ، ثم ذهب ليلعب البريدج ، ولا شك انه قرأ ، بطريقة ما ، الرسالة التي أرسلتها زوجته الى مارتن وايلد في الصباح فوضع خطة الجريمة باحكام .

ثم غادر بيت صديقه في السادسة والنصف ، بينما كانت ساعات القصر كلها تعلن السادسة والثلاث فقط .

ووصل الى القصر من الباب الجانبي في لحظات ، فوجد بندقية مارتن التي نسيها يحوار الباب ، فاستعملها في ارتكاب الجريمة ، ثم أسرع الى الغابة والقى بها ثم عاد الى قصره حيث استقبله احد الخدم بالتبأ .

أما التليفون ، نعم فقد عطله عمداً حتى لا يستعمله الخدم في تبليغ الجريمة الى رجال البوليس .

لأنه لو تم التبليغ تليفونياً لسجل رجال البوليس الوقت الحقيقي لوقوع الجريمة ، اي السادسة والنصف تقريباً وتلك الحقيقة تؤيد مارتن وايلد في قوله انه وصل الى منزله في السابعة إلا ربعاً ، لأنه في الحقيقة غادر قصر

السير جورج قبل السادسة والنصف بلحظات ، لا بعد السادسة والربع  
بلحظة او اثنتين ..  
اني ارى الآن كل شيء بوضوح ..

ان لويزا كانت الخطر الوحيد بحديثها عن أوهامها الخرافية ، وعما  
رأته من علامات في السماء ، فقد كان من المحتمل ان يفطن أحد الى دلالة  
مرور القطار في موعده المحدد ، وعندئذ تنهار خطة السير جورج من  
أساسها ..

— مدهش .. مدهش .

— لم يبق غير شيء واحد الآن ، وهو ماذا نفعل ؟

— أقترح ، ان نعرض الأمر ، على مس سيلفيا ديل ، خطيبة  
مارتن وايلد

فبدأ الشك على وجه ساترويت ..  
ثم قال :

— لكنهما .. فتاة ، ماذا يمكنها ان تفعل ؟

— إن لها والداً وإخوة يمكنهم اتخاذ الخطوات المناسبة .

— آه ! هذا صحيح ..

\* \* \*

وبعد وقت وجيز ، كان ساترويت جالسا مع الفتاة سيلفيا ديل يقص  
عليها الأمر كله دون ان تقاطعه او تلقي عليه سؤالاً ، وإنما كانت منتبهة اليه  
بكل حواسها وتفكيرها .

فلما فرغ نهضت قائلة :

- يجب ان أستقل الآن سيارة أجرة .
- لماذا ؟ ماذا تنوين ان تفعلني يا آنستي العزيزة ؟
- إني ذاهبة إلى السير جورج بارثاني .
- هذا مستحيل ! هذه خطوة خاطئة جداً . إسمعي لي ..

وكان يتواثب بجانبها ، وقد سمحت له بأن يتحدث اليها بما يريد ، وبأن يركب معها السيارة المأجورة ، ولكنها كانت مصممة على تنفيذ خططها .

فلما توقفت السيارة المأجورة أمام مدخل البناية التي يقع فيها مكتب أعمال السير جورج بارثاني ، هبطت منها ، فركبة ساترويت فيها ، ثم عادت بعد نصف ساعة وهي تبدو متعبية ، مشعثة الشعر ، تتراخي خصلات شعرها الذهبي كأزهار ذابلة .

واستقبلها ساترويت في قلق .

ولكنها قالت له بصوت هامس وهي تتراخي في جلستها ، وتغمض عينيها :

- لقد انتصرت !

فهنف قائلاً :

- ماذا ؟ ماذا فعلت ؟ ماذا تقولين ؟

فاعتدلت في جلستها وقالت :

- أخبرته ان لويزا بولارد ذهبت إلى رجال البوليس ، وذكرت قصة العلامة التي رأتها في السماء ، وقلت له ان رجال المباحث يقومون بتحريراتهم ، وقد شوهدوا يتسللون حول قصره ، ثم يخرجون منه ، بعد السادسة والنصف بلحظات .

وبينت له ان أمره قد انكشف ، وإن خطته في ارتكاب الجريمة قد افترشت . وانهارت أعصابه تماماً .

ولكنني بادرت وذكرتك له انه لا يزال أمامه متسع من الوقت للهرب ،  
وان رجال البوليس ان يأتوا للقبض عليه قبل ساعة او ساعتين ، وأكدت  
له انني إذا حصلت منه على اعتراف مكتوب بأنه قنصل فيفيان بارناي ،  
فلن أحول بينه وبين الهرب . أما إذا رفض ، فسوف أصرخ ،  
وأجمع عليه سكان البناية ، وأجعلهم يمنعونه من الفرار بعد ان أخبرهم  
بالحقيقة كلها .

وقد بلغ الفزع به حـداً جعله لا يدري ماذا يفعل أو ماذا يقول ،  
وأنت لا تدري أو اعلمك لا تدري ماذا يمكن ان يفعل الفزع بأعصاب أي  
إنسان . وهكذا كتب الاعتراف ووقعه بامضائه ، قبل ان يدرك هول  
ما فعل .

ثم مدت يدها إلى ساترويت بالاعتراف المكتوب  
وأردفت قائلة :

— خذه ، خذه ، فأنت تعرف ماذا ينبغي ان تفعل به حتى يطلقوا  
سراح مارتن

وصاح ساترويت وهو لا يكاد يصدق عينيه .

— عجباً ! إنه وقع بامضائه حقاً ؟

— لا عجب في هذا ، فإن القاتل عادة يكون محدود الذكاء رغم ما قد  
يبدو من إحكام خطته ، والشخص المحدود الذكاء إذا اضطرب وارتبك فإنه  
يخطئ في تصرفاته ثم يندم بعد ذلك .

ولما رآها ترجف قال لها :

— إنك في حاجة إلى كأس شراب لتهدئي من روعك . إني أعرف  
مطعماً جميلاً ، يمكننا ان نجلس فيه قليلاً .. انه مطعم آرلييكشينو .  
فهل تعرفينه ؟

فهزت رأسها



فأوقف سائرويت السيارة المأجورة أمام المطعم ، ثم دخله مع الفتاة وهو  
يتنقى ان يجد مستر كوين في مكانه .  
لكن المقعد كان خالياً منه .

وقالت سيلفيا حين رأت إمارات الاستياء تبدو على وجهه :  
- ماذا حدث ؟

- لا شيء . كنت أتوقع ان التقى بصديق هنا ، ولكن لا بأس ، فلا شك  
إني سأراه مرة أخرى ذات يوم .

## بيت الأسرار

كان مستر ساترويت يقضي ، كالمعتاد ، في كل صيف بضعة أسابيع في جزيرة كابري .

وكانت عادته في أكثر الأيام ، عند الغروب ، أن يمضي في ذلك الطريق الذي تحف به الدور الصغيرة البيضاء الراقدة تحت ظلال النخيل ، ومنها إلى الشاطئ الصغير ، ومن الشاطئ إلى طريق صاعد بين صفين من أشجار السرو ، حيث ينتهي عند ربوة يقوم عليها قصر صغير تحيط به حديقة واسعة يفوح منها شذا الورود والأزهار العطرية .

وعلى بوابة حديقة هذا القصر ، كان يقف البستاني المعجوز الأسباني الجنسية مانويل .

وكان من عادته أن يقدم لكل عابر من الرجال وردة فاضرة ، ولكل عابرة من السيدات باقة جميلة من الزهور ، ثم يضع في جيبه مع كلمة شكر رقيقة ، ما يحود به الرجال والنساء .

وكثيراً ما كان يحلو لمستر ساترويت أن يتخيل سكان ذلك القصر

الذي لم ير فيه باباً او نافذة مفتوحة أبداً في يوم من الأيام .  
وكانت أعذب خيالاته ، أن يتصور فيه مغنية أوبرا عالمية ، أو راقصة  
باليه مشهورة ، أو ممثلة كان اسمها يملأ الأذان ، وجمالها يملأ العيون ، ثم  
قررت ان تعتزل عالم المجد والأضواء بعد ان امتد بها العمر ، فانطوت على  
نفسها في هذا القصر الصغير حتى لا يرى أحد ماذا فعلت الأعوام بذلك الجمال  
الذي طالما بهر العيون وأسر القلوب .

والمرة الألف ، أو أكثر ، راح ينظر في فضول شديد إلى نوافذ القصر  
الصغير ، دون ان يدري هل هو خال تماماً أم ان به تلك الساكنة التي خلق  
حولها أطيب خيالاته .

وأخيراً المحدر في ممر بالحديقة الى ذلك المرتفع الرهيب الذي يطل على  
مياه البحر في منطقة ثائرة دائماً .

وكان كلما جلس على ذلك المرتفع ، تذكر ذلك السباح الانجليزي الذي  
غامر ، منذ أعوام عديدة خلت بالقفز منه إلى المياه الثائرة ، ولكنه عجز  
عن الممارسة ، فمات غريقاً .

وتحولت أفكاره إلى الحياة والموت . الحياة .. والموت .. ما هي الحياة؟  
وما هو الموت ؟

هل هو حقاً يحيا الآن ، أم انه ميت يحلم ، أم انه سوف يحيا بعد ان  
ينتقل إلى عالم آخر ؟

وتنبه من أفكاره هذه على صوت وقع أقدام خفيفة وراءه ، ثم على  
صوت رجل يقول :  
- اللعنة !!

والنفث وراءه ليرى رجلاً في منتصف العمر ، ينظر اليه في دهشة  
واستياء .

فتعرف مستر ساترويت عليه فوراً ، كان قد رآه ينزل في اليوم الأسبق

بنفس الفندق الذي ينزل هو فيه ، وكان هناك شيء ما في مظهره وتصرفاته  
لفت انتباهه اليه .

فرغم انه ، أي ذلك الرجل الانجليزي ، كان قد تجاوز الأربعين من  
عمره ، فقد كان يظهر كأنه في ميعة الشباب : الصبا ، ومن ثم كان ساترويت  
يقول لنفسه كلما رآه :

— هذا الرجل من الأشخاص الذين يعيشون طيلة أعمارهم أطفالاً ، .

كان ممتلئ الجسم ببعض الشيء طويلاً ؛ ينم وجهه على انه لم يحرم نفسه  
 يوماً من أطايب الحياة .

لكن شيئاً ما في عينيه العسليتين كان يدل على حزن عميق او اضطراب  
أو قلق مقرون بالدهشة والتساؤل .

وتنبه ساترويت من أفكاره على صوت الرجل ، وهو يقول له بلمهجة  
اعتذار وارتيباك :

— اني آسف فالواقع اني دهشت وفوجئت . فما كنت أتوقع أن أرى  
أحداً في هذا المكان المنعزل .

فتحزح ساترويت من مكانه قليلاً ، كأنما يدعو الرجل إلى الجلوس  
يجانبه ..

فلما قبل الدعوة وجلس قال له :

— الواقع انه كان منعزلاً فعلاً .

ومع ذلك فكلمها جئت اليه وجدت فيه شخصاً ما .

وكانت نبرات صوته تنم على الضيق والاستياء .

ترى لماذا ؟

فهمز ساترويت كتفبه وهو يقول :

— إذن فقد جئت اليه من قبل ؟

— كنت هنا مساء أمس بعد العشاء .

- .. حقاً ؟ كنت أظن ان بوابة الحديقة تغلق بعد العاشرة مساء .
- نعم ؛ ولكفي تساقط سيابها .
- هل وجدت احداً هنا في مثل هذا الوقت ؟
- نعم .. وكان يرتدى ثوباً تنكرياً .
- ثوباً تنكرياً ؟
- نعم .. ثوباً كالذي يرتديه المهرجون .. والذي يسمى :
- « هارليكوين » ..
- فنظر اليه ساقرويت في دهشة وانفعال .
- ثم قال متسائلاً :
- ما هذا ؟
- إن نزلاء الفندق يرتدون عادة مثل هذه الملابس التنكرية في الحفلات الراقصة .
- آه ! نعم ، هذا حق
- لقد أدهشني هذا الرجل بظهوره المفاجيء ، ثم باختفائه المفاجيء ، وكأنه شبح يظهر ويختفي دون ان يعرف أحد من أين جاء أو الى أين ذهب .
- لقد خيل إلى انه جاء من البحر .
- فنظر ساقرويت إلى الهاوية العميقة التي تنتهي بمياه البحر ، بينما أردف الرجل قائلاً ..
- لكن هذا مجرد وهم بطبيعة الحال ؛ فليس في هذا المرتفع الصخري مكان تقف عليه ذبابة ، إنه هاربة تؤدي .. تؤدي الى النهاية في لحظة وهو ايضاً مكان نموذجي لارتكاب جريمة قتل .
- وحلق الرجل في وجهه مندهشاً ..
- لكنه لم يلبث ان غمغم قائلاً :
- آه .. نعم ؛ نعم .. مجرد دفعة باليد ثم ينتهي كل شيء .

فَنَعِم الصمت على الرجلين . واستغرق كل منهما في أفكاره . وفجأة قال  
الرجل الغريب كأنما يحدث نفسه :  
- ما جدوى كل هذا ؟ لماذا نحيا ؟ ولماذا نموت ؟

فنظر إليه ساترويت دون ان يقول شيئاً .  
فتابع الرجل يقول .  
- سمعتمهم يقولون انه ينبغي ان يبني كل رجل بيتاً وأن يزرع شجرة  
وان ينجب ولداً .

ثم صمت برهة قبل أن يردف قائلاً :  
- أعتقد اني وضعت ذات يوم بذرة ابن .

واضطرم فضول ساترويت ، وقرر ان يعرف من أمر هذا الرجل الشاب  
كل ما يمكن معرفته .  
ولم يجد ثمة مشقة في ذلك .  
فما لبث هذا ان راح يفضي بالحديث عن نفسه ، وكأنما يجد في الإفشاء  
راحة من شيء يثقل عليه .  
إن اسمه انتوني كوزدين ، وإن حياته صورة مطابقة لما تخيلها مستر  
ساترويت .

حياة شخص ورث في شبابه ثروة طيبة قدر عليه ريعاً سنوياً لا  
بأس به . وعاش بهذا الربيع حياة أقرب ما تكون الى الفراغ والترف .  
أصدقاء كثيرون ، ومباهج متوالية من الحياة ، ونساء كثيرات . حياة  
يمكن ان يقال عنها بصراحة : « حياة بوهيمية » .  
ولكن ساترويت قال لنفسه :  
- ولكن هناك أنواعاً من الحياة أسوأ منها بكثير .

ثم جاءت النهاية ..  
حات . أولاً غامضة مبهمه .

لقد أحس ذات يوم بالأم بسيط ، فنصحته الطبيب بأن يعرض نفسه على  
أخصائي في شارع هارلي ستريت  
ومع مرور الأيام ، عرف الحقيقة تدريجياً حين أخذ الأطباء ينصحونه  
بالحياة في هدوء وترفق ، وعدم إجهاد بدنه أو أعصابه .

وانتهى الأمر بأنه عرف ان الفترة الباقية من عمره ، لا تريد على  
سته أشهر .

فاستدار انتوني بعينه المملكتين بالتساؤل والقلق والدهشة ، ونظر إلى  
ساترويت كأنما يقول له :  
- ما رأيك ؟

فلم يجد ساترويت ما يقوله .  
فتابع الرجل الشاب قائلاً :

إنه حاول جهده أن ينسى أقوال الأطباء ، وان يمضي في حياته  
كالعادة ، ولكنه أدرك بعد أيام معدودة ان هذا غير ممكن لأن أصدقاءه  
وصديقاته بدأوا بالانصراف عنه .

لأنهم يريدون الحياة في بهجة ومرح ، ويحبون الصديق الممتلئ  
الجيب بالمال ، والقلب بالحياة ، لا الإنسان الذي يعيش بينهم  
في كفن !

وأخيراً قرر مغادرة وطنه والهيء إلى هذه الجزيرة .

فقال ساترويت وهو يحاول ان يجد ما يقوله :

- ولماذا هذه الجزيرة بالذات ؟ هل سبق ان جئت إليها ؟

- نعم .. وأنا شاب في العشرين ، أو الثانية والعشرين ، من  
عمري .

وفجأة التفت وراءه ، وأرسل نظرة سريعة إلى القصر الصغير القائم  
فوق الربوة ، ثم قال :

... إني أذكر هذا المكان . فإن خطوة واحدة منه تؤدي بالإنسان إلى  
النهاية .

- ألهذا جئت أمس .. والليلة ١٢

فنظر أنتوني إليه باستياء ثم قال :

- أوه ، أعتقد ان هذا الأمر لا يخصك في شيء .

- لقد وجدت ليلة أمس شخصاً ، ووجدتني اليرم ، وهذا يعني ان حياتك  
أنقذت مرتين

- يمكنك ان تقول ما تشاء . لكن اللعنة على كل شيء . إنها حياتي وأنا  
حر التصرف فيها

- هذا تعبير معروف أصبح الآن على كل لسان .

فاعتذلت لهجة أنتوني وهو يقول :

- طبعاً .. طبعاً . إني أدرك حقيقة موقفك مني . فمن واجبك ان  
تنصحنني وان تخفف عني وان تبت الأمل في قلبي . فهذا واجبك حتى لو  
كنت تدرك تماماً اني على حق

لكن اليس من الأفضل ان أضع نهاية سريعة حاسمة لحياتي بدل هذا  
الانتظار الرهيب للموت ؟ بدل ذلك العذاب المنتظر في الأيام او الأسابيع  
السابقة على الموت ؛ إني ان أكون آسفاً على شيء ، لأنه ليس لي في الحياة  
من أهتم به .

فقال ساترويت بسرعة :

- ولو كان لك في الحياة من يهتمك أمره ؟

- إني لا أدري ، لكنني مع ذلك كنت أرى انها الطريقة الفضلى . وعلى  
أية حال فليس لي ..

ثم توقف عن الحديث فجأة .

فقال له ساترويت :



- اليس لك . حبيبة ؟

- عرفت نساء كثيرات ، لكنهما كلها كانت علاقات عابرة إلا ..

ومرة أخرى صمت فجأة ثم أردف :

- تمنيت لو كان ابن .. لكن ما جدوى تلك الأمنية ؟ حتى لو تحققت فإن الفترة الباقية من حياتي لا تزيد على ستة أشهر ، بل خمسة أشهر وستة أيام على التحديد .

- إن الوقت مثل كل شيء مسألة نسبية ، فمن يدرك ان هذه الأشهر الستة قد تكون أجمل شهور في حياتك كلها وأحفلها بالبهجة العميقة الحقيقية ؟ هذا على فرض صحة أقوال الأطباء .

فظهر عدم الاقتناع على وجه أنتوني وهو يقول .

- لو كنت في موضعي .. فهل في مقدورك ان تحتل هذه الشهور الستة ؟

فضحك ساترويت وقال .

- أولاً ينبغي ان أكون شجاعاً جداً لمواجهة هذه الأشهر الأخيرة من حياتي ، وأخشى ان أقول إنني لا أتمتع بمثل هذا اللون من الشجاعة ، وأنا ثانياً ..

- حسناً ؟!

- أحب دائماً ان أعرف ماذا يخبئه الغد لي .

وهنا نهض أنتوني وأرسل ضحكة جوفاء وقال :

- حسناً يا سيدي ، أشكر لك هذه الفترة الطيبة التي أتحت لي فيها فرصة الحديث . ولست أدري لماذا تكلمت والآن إذا سمعت عن حادث وقع لي ، فأرجو ألا تنهر أحداً انه حادث مدبر مقصود لكن لا يمكنك ان تقول ما تريد ، فهل يضير الإنسان ما يقال عنه بعد ان ينفض يديه من الحياء ؟

ثم أردف قائلاً وهو يهم بالانصراف :  
.. إني لا أريد الليلة ، ان يقال عنك انك دفعتني بيدك من فوق  
هذا المرتفع ، ولا بأس من تأجيل الانتحار إلى غد أو بعد غد . فليس  
هناك ما يدعو إلى التعجل .. حسناً .. أرجو ان أراك الليلة في الفندق ،  
بعد العشاء

وبعد انصراف الرجل ، بقي ساترويت منفرداً بنفسه ، ينظر إلى  
الأفق البعيد ثم يقول لنفسه :  
- والآن .. ماذا بعد ؟

وأخيراً نهض واقفاً فاستدار نحو الرتبة يمشى في طريقه اليها ليخترق  
حديقة القصر ومنها إلى الطريق المنحدر نحو الفندق .

لكنه توقف فجأة أمام القصر الصغير وراح ينظر في شفق الغروب إلى  
نوافذه المغلقة .

فمادت أطياف خياله تحوم حول تلك الراقصة او المغنية ، التي لعلها  
تقيم فيها بعيداً عن أضواء المجد والشهرة ؛ بعد ان أخذ جمالها في الذبول .  
فاستبد به الفضول فإذا هو يتقدم نحو كومة من الأحجار ويتسلقها إلى نافذة  
قريبة ثم يجذب مصراعها الخشبي كأنما يختبره .

ولشد ما كانت مفاجأته حين رجد المصراع يستجيب له وينفتح فإذا  
هو يتراجع حين رأى أمامه سيدة بلباس سوداء تغطي رأسها بمطرف حريري  
أسود جامدة الوجه تنظر إليه بصمت .

فارتبك ساترويت وراح يمتدح بكل ما طرأ على ذهنه من كلمات إيطالية  
وفرنسية وإسبانية قليلة . وفيما هو يتراجع في خجل إذا به يتوقف حين سمع  
المرأة تقول له بصوت حاد كالطلق الناري :

- تعال !

وبلغ من قوة اللهجة الآمرة ان توقف ؛ ثم عاد أدراجه كالكلب الذي

يلبي في مذلة أمر سيده . حق إذا وقف متسماً أمام النافذة ؛ قالت له بصوت اقل حدة :

- هل أنت إنجليزي ؟

وعاد ساترويت يقول معتذراً :

- لو كنت أعرف أنك الإنجليزية لأحسنت الاعتذار باللغة التي أتقنها .  
إني اعتذر باختلاص عما فعلت ؛ إن الفضول وحده هو الذي دفعني إلى هذه النافذة . فلم أكن أعرف أنها هيئة الفتح . والواقع اني كثيراً ما تساءلت عما في داخل هذا القصر ؟

وهنا أرسلت ضحكة عميقة عذبة وقالت :

- إذا كنت تريد هذا ؛ فيحسن ان تتفضل بالدخول ؛ لنرى بنفسك ؟

ثم تنحنت له جانباً ، فدخل ساترويت وهو أشد ما يكون ابتهاجاً ، فوجد نفسه في غرفة ذات أثاث فاخر ، لكن الغبار كان متراكماً على كل شيء فيها .  
فقالت المرأة :

- إننا لا نجلس هنا ، لأننا لا نستعمل هذه الغرفة .

ثم عبرت معه بهواً كبيراً ومضت به إلى غرفة أخرى في الجانب الخلفي من القصر ، تطل على مياه البحر . وكانت أيضاً فاخرة الأثاث ، نظيفة مريحة .

ودعته إلى الجلوس على مقعد وثير وهي تقول :

- لسوف تشرب الشاي معي . إنه شاي جيد ، تحسن خادمتي صنعه .

ثم مضت إلى باب الغرفة وأصدرت تعليماتها باللغة الأسبانية ؛ وبعدئذ عادت وجلست أمامه .

فاستطاع حينها ان يتأملها بامعان .

كان أول شعور خامره وهو يراها ، إحساسه العميق بالشيخوخة أمام  
فوره أنوثتها ، ووفرة حيويتها ، ونضارة مظهرها ، وقوة شخصيتها .  
كانت طويلة القامة ملفوفة الجسم خمرية اللون واسعة العينين رائعة الجمال رغم  
انها في نحو الأربعين من عمرها .

وكان مجرد وجودها في الغرفة يجعل ضوء الشمس الغارب كأنه ضوءها  
وهي في سمت الضحى باهراً ساطعاً .

وكان مجرد الجلوس أمامها ، يشعر الانسان بهذه المتعة التي يحسها  
في يوم بارد ، وهو جالس أمام مدفأة تطرد عنه البرد ، وتملؤه بهذا  
الدفء الممتع .

فقال لنفسه :

.. لقد بلغت وفرة حيويتها ، أن راحت تنشرها حول من يجلس  
معهما .

ومع هذا كله كان يشعر بشيء من الخوف ، لأنه لم يكن يميل أبداً إلى  
المرأة ذات الطابع المسيطر

فقالت له بعد أن تأملته بدورها طويلاً :

.. إنني سعيدة بحضورك ، لأنني كنت في أشد الحاجة إلى من أتحدث  
معه هذا المساء . ويظهر لي أنك من الأشخاص الذين يطمئن الإنسان في  
حديثه معهم .

وأقبلت الخادمة بالشاي . وبعد انصرافها ، قال هو على سبيل  
المحادثة :

— أقيمين هنا ؟

— نعم .

— دائماً !! إن القصر دائماً مغلق ، أو هكذا يبدو لي .

- إني أقيم هنا معظم أوقات السنة دون ان يعرف ذلك كثير من الناس ،  
لأنني أستعمل فقط الجانب الخلفي من القصر .  
- وهل هو ملك لك منذ .. منذ أمد بعيد ؟

- منذ اثنتين وعشرين عاماً تقريباً . وقد عشت فيه عاماً كاملاً قبل  
ذلك التاريخ .

- هذه مدة طويلة جداً ؟  
- العام أم الاثنى والعشرين عاماً ؟  
- إن هذا يتوقف ..

فأومأت برأسها وقالت :

- نعم .. إن هذا يتوقف على نوع الحياة نفسها ، والواقع أنها ، من هذه  
الوجهة ، فترتان منفصلتان تماماً ، ولست أدري أيهما أطول من الأخرى ،  
وحتى الآن لا أدري .

وبعد برهة من الصمت عادت تقول وهي تبتسم :

- لقد مضت فترة طويلة لم أتحادث فيها إلى أحد .. ويلوح لي أنك من  
الأشخاص الذين يحبون ان يعرفوا أسرار الغير . لا .. لا .. لا تعتذر ،  
لأن الحياة أحياناً تكون مملة ، لا سيما إذا عاش الانسان ينتظر شيئاً ..  
ويطول انتظاره ..

فابتسم وقال :

- يخيل لي أنك لست من الذين يقفون على هامش الحياة وينتظرون . فإنك  
واحدة من اللاتي رأى القدر ان يجعلهن في خضم معركة الحياة .. إن يكن  
صاحبات الأدوار الرئيسية في مسرحيات الحياة .

-- ما أعجب ما تقول !

-- ومع ذلك فأنا واثق مما أقول . فلا شك أن في حياتك الشيء الكثير  
من التجارب او ربما من المآسي .

وضاقت عيناهما قليلاً ، وهي ترسل نظراتها نحو مياه البحر ، ثم قالت :

- لو انك مقيم هنا منذ فترة طويلة ، لأخبرك شخص ما عن السباح الانجائزي الذي غرق في أسفل ذلك المرتفع الصخري ، ولحدثك عن شبابه وقوته وجماله وعن زوجته الصغيرة التي وقفت على قمة المرتفع وشاهدته وهو يغرق .  
- لقد سمعت شيئاً عن هذه المأساة .

- ذلك الشاب كان زوجي ، وهذا القصر كان ملكاً له ، وقد تزوجني وجاء بي إلى هنا وأنا في الثامنة عشرة من عمري ، وبعد عام مات غريقاً . حملته الأمواج ودفعت به إلى الصخور المسنونة ، وظلت تضربه فيها حتى مزقت جسده .

وفوجيء مستر ساترويت بحديثها ، فحاول ان يقول شيئاً ، لكنها تابعت كلامها وهي تحقق النظر في وجهه :

- لقد تحدثت عن المآسي ، فهل سمعت عن مأساة أقسى من هذه ؟  
زوجة شابة لم يمض على زواجها من حبيبها غير عام واحد . ثم إذا هي تقف ذات يوم عاجزة تماماً ، فتري حبيبها وشريك حياتها ، وهو يصارع الموت من أجل الحياة ! .

وأخيراً صرعه الموت في أبشع صورته !

فقال ساترويت في تأثر عميق :

- هذا فظيع ! . نعم .. إنني أتفق معك ، في أنها مصيبة ليس لها مثيل !

فأرسلت ضحكة عالية ، وهي تتراجع برأسها إلى الوراء ، ثم قالت :

- بل هناك ما هو أبشع وأفظع من هذه الصورة .. إنها صورة

الزوجة الشابة ، وهي واقفة فوق المرتفع ترجو وتبتهل إلى الله ان .. ان يفرق زرجها .

- يا إله السموات ! إنك لا تعنين !

- نعم ! هذا ما أعنيه تماماً لقد كنت راكعة هناك على المرتفع أبتهل إلى الله ، وكان الناس جميعاً يحسبونني أبتهل لنجائه . لكنني على النقيض كنت أضرع إلى الله ان يخلصني منه ، وان يحررني في الوقت نفسه من هذه الأمنية الشريرة .  
كنت أقول :

« طهر نفسي يا ربي من رغبة رؤيته ميتاً » . لكن لم يكن ثمة فائدة فقد كنت أتمنى موته بكل ذرة من كياني !

وصمت برهة قبل أن تردف قائلة بصوت أكثر رقة :

- اليس هذا فظيماً ؟ اليس هذا من نوع الانفعالات التي لا يمكن للمرء ان ينساها ؟ نعم ! لقد بلغت سعادتي ذروتها حين علمت انه مات ، وانه لن يستطيع العوده لتعذيبني  
فتمتم سائرويت مصدوماً :  
- يا طفلي المسكين !

- نعم . كنت في ذلك اوقبت أصغر من ان يحدث لي شيء رهيب كهذا . إن مثل هذه المآمي ينبغي ان تحدث ونحن أكبر سناً ، وأكثر تجربة أي عندما نكون مستعدين لاحتمال فظاعتها ، ولم يكن احد يعرف ماذا كنت أعاني منه .

لقد حسبته عندما رأيته اول مرة ، شاباً رائعا ولشد ما أحسست بالزهو عندما طلب يدي للزواج . لكنني فوجئت بعد زواجنا ، بوحشيته كان يغضب مني لأتفه سبب ولم يكن ثمة شيء أقوم به يرضيه . وقد بذلت كل جهد لإرضائه . كان يحاول له تعذيبني ، ويلتمس السعادة من إفزاعي

وكان يبذل كل جهوده لابتكار الوسائل التي تشفي حياتي ، وتملاً أيامي بالرعب .

ولا أستطيع ان اذكر لك شيئاً منها ، لكن يكفي إني ظننته مجنوناً . وكنت هنا بمفردي ، في قبضة يده وتحت رحمة فالتخذ من تعذيبه هواية له .

وكان أسوأ ما في الأمر اني كنت حاملاً ، وقد فعل بي شيئاً جعل الطفل يولد ميتاً .

طفلي أنا .. مات أثناء الوضع ، وكدت انا ايضاً ان أموت ، لكنني لم امت وتمنيت الموت لكن لم امت لكي اتعذب .

فتمتم مسر سائرويت بكلمات هزاء مبهمه ، بينما استطردت هي قسالة :

— واخيراً جاء الخلاص ، بالطريقة التي حدثتك عنها . فلان بعض الفتيات المقيات في الفندق سخرن منه قائلات انه لا يستطيع القفز من ذلك المرتفع إلى الماء . واراد هو ان يثبت قوته وبراعته رغم ان الجميع أكدوا له ان هلاكه في هذه المغامرة .

لكنه كان شديد الزهو والغرور . وقد شهدته وهو يقوم بالمغامره ، ثم وهو يفرق ، فسررت بالخلاص منه .  
ليغفر لي الله .

فقد سائرويت يده النحيلة الجافة ، وضغط بها على يدها وقد خيل اليه أن آثار الزمن قد تلاشت عن وجهها ، وإذا هي قد ارتدت إلى التاسعة عشرة من عمرها .

وعادت تقول :

— فلم أصدق الأمر من فرط سعادتي . فقد أصبح القصر ملكاً خالصاً لي ، وغدا في مقدوري ان اعيش فيه دون ان يعذبني او يشقيني أحد .



كنت في حياتي يتيمة ، ليس لي اقارب مهمهم امري . وقد ادى هذا الى تبسيط حياتي ، فعمشت بعد مصرعه كأني في الجنة .

نعم .. كنت أسعد إنسانة في الوجود . وكان يكفيني ان أشعر بالسعادة حين أفكر اني أقضي أيامي بلا آلام او أحزان او خوف مما سيفعله بي بين لحظة وأخرى . نعم . كنت كالذي يعيش في جنة الخلد فلما توقفت عن الحديث قال مستر سارويت :  
-- وبعد ذلك ؟

— أعتقد ان الإنسان بطبيعته لا يقنع بشيء ، فبعد أشهر من هذه الحياة الهائلة بدأت أشعر بالعزلة والوحشة . بدأت أفكر في طفلي الذي مات . فلو انه كان لي طفل فقط ا  
كنت أريد طفلاً ولعبة أتسلى بها . كنت أهفو بكل كياني إلى شيء أو إلى شخص أتسلى به . وقد تعتبر هذا حماقة صبيانية . لكن كان هذا هو الواقع .  
— نعم . نعم ، اني أفهم

— من المسير ان أشرح لك ما حدث بعد ذلك بالتفصيل . كان ثمة شاب إنجليزي يقيم في الفندق ، وفي ذات ليلة وصل مصادفة إلى حديقة القصر ، وكنت البس ثوباً اسبانياً ، فحسبني فتاة اسبانية من قرية مجاورة . فخطر لي ان أتسلى وأتظاهر بأنني اسبانية حقاً ، ومثلت دوري ببراعة رغم ان اسبانيتي كانت رديئة ، لكنه لم يكن يعرف منها غير عبارات قليلة . فزعمت له ان القصر ملك لسيدة إنجليزية ارستقراطية ، سافرت إلى منطقة نائية فقلت انها هي التي علمتني لغتي الانجليزية البسيطة .. ولشد ما كان سرووي ، وأنا أمثل دور المتكلمة بلغة إنجليزية سقيمة

فبدأ هو في مغازلتي ، فاستجبت له وتظاهرت معه ان القصر ملك لنا

واننا تزوجنا في تلك الليلة وجئنا للإقامة فيه .  
فاقترحت ان نتسلل الى القصر عن طريق إحدى النوافذ ، نفس النافذة  
التي دخلت أنت منها ، وكان مصراعها مفتوحاً من الداخل .  
دخلنا في حذر إلى الغرفة التي كانت ، كما هي الآن ، مهمة ،  
يعملها الغبار .. وعلى الجملة كانت لحظات جميلة ، مليئة بالإثارة  
والانفعالات .

وتوقفت بغتة عن الكلام فتطلعت إلى ساترويت طويلاً كأنما نلتمس منه  
ان يدرك شعورها ويلتمس لها العذر .

ثم تابعت تقول :

- كان كل شيء يبدو رائعاً ، وكأننا نعيش في أسطورة عذبة ، أو  
في قصر مسحور . وكان أجمل ما في الأمر كله انه كان يلوح لي خيالياً  
لا أرفيه للحقيقة

فأوما ساترويت برأسه بينما تابعت هي كلامها

- كان يبدو لي شاباً إنجليزياً من الطراز العادي غادر بلاده في رحلة  
قصيرة لمتعة والنزهة . لكنه كان لطيفاً مرحاً ، وقد تمادينا في القيام بدور  
الزوج والزوجة ، أفهم ؟

وبعد برهة من الصمت عادت تقول

- نعم تمادينا في القيام بهذا الدور وعاد هو في صباح اليوم التالي إلى  
الحديقة ورأيت من خصائص نافذة غرفة نومي ، ولم يخطر بباله طبعاً اني  
مقيمة في القصر . فقد كان يحسبني فتاة اسبانية قروية ، وكان قد طلب مني  
ان أقابله في اليوم التالي . ومن ثم راح يتلفت حوله وينتظر . ولم أكن من  
ناحيتي أنوي ان أكرر المقابلة . لكن بدا لي انه كان يشعر بالقلق من أجلي  
ومما فعل بي في الليلة الماضية .

نعم ، كان شاباً لطيفاً رقيق الانحساس

وتوقفت ثانية عن الكلام قبل ان تتابع قائلة .  
فلم يعد في اليوم التالي . غادر الجزيرة . ولم أره بعد ذلك . لكن  
طفلي منه ولد سليماً بعد تسعة اشهر .

كنت في خلال هذه الأشهر أسعد إنسانة في الوجود ففاضت كأس  
سعادتي عندما حملت لأول مرة الطفل ، طفلي أنا ، بين ذراعي . فتمنيت في  
تلك اللحظات لو اني سألت ذلك الشاب الانجليزي عن اسمه ، حتى أسمي  
الطفل به . فقد ظهر لي اني ظلمته في احتفاظي بالطفل لي وحدي .  
لكنني كنت في أعماق نفسي اشكره واعترف بحميلة لأنه اعطاني كل ما  
كنت اتمناه في حياتي .

- هل الطفل ، وجود حق اليوم ؟

- نعم ان اسم جون ؛ وهو الآن شاب رائع في العشرين من عمره ،  
وإني أتمنى لو انك تراه . وسوف يغدو مهندس مناجم . وكان ولم يزل  
أجل وابر الأبناء . وقد اخبرته ان والده الانجليزي ، مات قبل مولده ؛  
بأسابيع قليلة .

فحملق سائرويت في وجهها مندهشاً لهذه القصة التي سمعها . لكنه كان  
في الوقت نفسه يشعر ان القصة لم تتم فصولها بعد .  
ومن ثم قال :

- إن عشرين عاماً وقت طويل جداً . ألم تفكري خلالها بالزواج  
مرة ثانية ؟

- كان ابني يلاً علي حياتي دائماً .

ثم اردفت قائلة وهي تنظر الى مياه البحر في ذهول :  
- لكن الحياة لا تبقى على حالة واحدة ابداً . لا بد ان تقع فيهم  
الأحداث وكثيراً ما تكون هذه الأحداث عجيبة غريبة غير متوقعة .  
ولعلك لن تصدقني مثلاً حين اقول لك اني لم أكن احب والد ابني جون

عندما عرفت في تلك الليلة او بعد ذلك بأشهر بل لم اكن اعرف ما هو الحب في ذلك الحين .

وقد توقعت بداهة ان يكون الابن شبيها بي . ولكنه جاء لا يشبهني في شيء .

بل ان من يراه لا يظن اني امه ! .

لقد جاء شبيها بأبيه تماما .

وهكذا تعلمت كيف اعرف اياه عن طريقه ؛ وعن طريق الابن تعلمت كيف احب ذلك الأب الذي لم اعرفه غير املة واحده ؛ واني لأحبه الان وسوف اظل على حبه الى غاية العمر .

لعلك ستقول اني واهمة واني اقت حبي على اساس من الوهم ؛ ولكن لا ا تأكد اني احب الآن ذلك الرجل . احب الرجل بدمه ولحمه وكل شيء فيه ؛ اعني اني لا احب صورته او خياله ولو اني رأيت الليلة او غدا فسوف اعرفه فوراً رغم هذه الأعوام العشرين التي مرت على فراقنا . إن حبي له هو الذي انضج افواقي ..

لهذا فلاني احبه حب الأنثى الناضجة للرجل القوي

وقد عشت هذه الأعوام العشرين وانا احبه وسوف ابقى على هذا الحب حتى الممات .

وتوقفت بفتة قبل ان تتابع كلامها في تحد :

- هل تظن اني مجنونة إذ أقول هذا ؟

فتناول ساترويت يدها بين يديه وغم قائلاً بجنان :

- لا .. لا . مطلقاً يا عزيزتي .

- هل تفهم حقيقة مشاعري .

- نعم . نعم ! . ولكن هناك شيئاً آخر .. شيئاً لم تخبريني

به بعد .

فقطبت جيدينها برهة ثم قالت :  
- نعم ، هناك شيء آخر ويلوح لي انك خبير بدخائل النفوس . لكنني  
أؤثر ألا أخبرك بهذا الشيء لمصاحبتك .  
وعندئذ قال ببطء :

- حدث شيء لم يكن متوقفاً . اليس كذلك ؟  
وطرقت عينها قليلاً ، وهزت رأسها في استسلام .  
ثم قالت :  
- نعم .. ولكنني أؤثر ألا أخبرك به .. وذلك ، كما قلت لك ،  
لمصاحبتك .

- هل تخشين ان أصبح شريكاً في المسؤولية إذا عرفت ؟

فشعب وجهها فجأة وزمت شفتيها ..  
عندئذ قال لها :

- انك تفكرين بالانتحار !

- أوه ! كيف عرفت ؟ كيف عرفت ؟

- هذا عجيب ؟ إني لم أر في حياتي امرأة ممتلئة بالحياة والرضا وحب  
الحياة مثلك ، فلماذا تفكرين في الانتحار ؟

فنهضت ومضت إلى الشرفة المطلة على البحر وقالت :

. لأنقذ إبني من الحقيقة ، انه لا يعرف انه ابن سفاح ، إنه ابن ليسة  
غرام . فلو عرف هذه الحقيقة فسوف ينهار تماماً ، لأنه شديد الاعتزاز  
بنفسه ..

وقد أحب أخيراً فتاة وقرر الزواج بها . وسوف يحضر بعد وقت  
قريب ليعرف كل شيء عن أبيه . عن حسبه ونسبه حتى يكون مستعداً  
لأسئلة أهل الفتاة .

فلو عرف حقيقة أمره ، فسوف يقطع علاقته بالفتاة ويرحل إلى مكان

فأنا ليغترق نفسه في الشراب والضياع .

أوه ! أنا أعرف ماذا تريد أن تقول .

ولكن لا .. إني أعرف إبني أكثر منك ، إنه لن يطيق ابداً أن يعيش بين أشخاص يعرفون أنه ابن سفاح ، والناس في مثل هذه الحالات لا يرحمون ولا يغفرون .

لكن إذا وقع لي « حادث » قضى على حياتي قبل مجيئه ، فسوف يضيع كل شيء في غمار هذا الحادث ، وحين يفتش الأوراق التي سأتركها ورائي ، فإنه لن يجد شيئاً ، وسوف يستاء لأني لم أخبره بشيء كثير عن والده !

لكنه لن يشك في شيء .. هذه هي الوسيلة الفضلى ، وعلى الإنسان أن يدفع ثمن سعادته !

وقد اغترفت من السعادة الشيء الكثير بحيث اعتبر أن توضيحي بحياتي ثمن يسير . كل ما أحججه بعض الشجاعة لأقفز من فوق المرتفع ثم أتحمل عذاب الموت لحظة أو لحظتين .

– لكن يا طفلي العزيزة !

– لا تتعب نفسك في محاولة إقناعي . لقد قررت أمراً وانتهيت منه . وحياتي هي ملكي الخاص ، وكان إبني جون في حاجة إليها لينمو وقد نما . وهو الآن في حاجة إلى أن أفقدها لينجو من العار ولسوف أضحي بها من أجله وإن من حقي أن أفعل بحياتي ما أشاء !

– هل أنت واثقة من هذا ؟

– كل الثقة لأن حياتي لم تعد نافعة لأحد

– ومن أدراك ؟

– ماذا تعني ؟

– اسمعي ، لسوف أضرب لك مثلاً على أن حياة أي إنسان قد تكون

نافعة لإنسان آخر دون ان يدري ، بل قد تكون سبباً في حياة إنسان آخر بلا قصد منه ..

فقد حدث مثلاً ان جاء رجل الى المرتفع ليلقي بنفسه الى البحر .. ولكنه وجد رجلاً آخر جالساً ، ففشل في تحقيق رغبته وعاد من حيث أتى ليعيش .. فما معنى هذا ؟

معناه ان الرجل الثاني ، أنقذ بلا قصد او غرض حياة الرجل الأول . أي ان وجود الرجل الثاني على قيد الحياة كان السبب في إنقاذ راغب الانتحار من الموت .

وأنت مثلاً ، ألا يمكن ان تكوني ماشية في الطريق ، في زمان محدود في مكان معين أثناء انطلاق جواد جامع ويوشك هذا الجواد ان يدوس بسنابكه طفلاً يحبو لكمه ، اي الجواد ، يراك فينحرف نحوك ، فلتستطيعين انت ان تتجني خطره .

وبذلك ينجو الطفل بسبب وجودك حية ، ثم يعيش ليصبح مخترعاً عظيمًا ، او طبيباً نابغة يكشف علاجاً لمرض السرطان او عقاراً مثل البنسلين ومشتقاته .

- انك رجل عجيب ، لم يخطر ببالي ابداً ان افكر في مثل هذا الذي تقول .

ثم اردفت قائلة بعد برهة صمت :

- والآن ماذا تريد مني ؟

- اريد منك فقط ان تعديني بالأا تفعلني بنفسك شيئاً لمدة أربع وعشرين ساعة .

- حسناً لك هذا.

- لي رجاء آخر ، هو ان تتركي مصراع النافذة التي دخلت منها

الليلة مفتوحا من الداخل ، كما حدث الليلة تماما ، وارجو ان تكوني في انتظار شخص ما .

فحملت في وجهه مدهوشة ، ثم أومأت أخيراً رأسها .. وهنا نهض ساترويت قائلاً :

— الآن يجب علي ان انصرف ، بارك الله فيك يا عزيزتي .

\* \* \*

ولما دخل الى الفندق ، كان الليل قد ارخى على العالم أستاره ، وهناك في شرفة الفندق رأى شخصاً يجلس في منزله . فتقدم اليه وهو يشعر أن مصير شخصين قد أصبح بين أنامل أصابعه ، وان أقل خطأ في التصرف قد يأتي بنتيجة عكسية .

قال ساترويت بهدوء :

— جو لطيف الليلة ، لقد نسيت نفسي وأنا جالس في ذلك المرفق .

فقال الرجل الذي لم يكن غير انتوني كوردين :

— هل كنت فوق المرفق كل هذا الوقت ؟

فأوما برأسه ، وبغثة قال انتوني ، وهو يزم شفتيه في تصميم رهيب :

— لسوف أتمشى بعد العشاء على الشاطئ .. أتفهم ؟ إن المرة الثالثة ستكون الأخيرة . وإني لأرجوك بحق السماء ألا تتدخل فأنا اعرف انك تبغى الخير لكنني اؤكد لك ان تدخلك لن يجدي .

فنهض ساترويت وشد قامته قائلاً :

— اني لا اتدخل في شؤون الغير ابداً . لكن .. لكن الأحداث احبانا



او الفضول احيانا ، يرغم الانسان على تصرفات لم تكن تخاطر بباله ؛ فمثلا  
حدث الليلة ..

ثم جلس وصمت .

فقال انتوني :

- ماذا حدث الليلة ؟

- بينما انا في طريق العودة ؛ نظرت للمرة الألف الى ذلك القصر  
الصغير فوق التلة .. وللمره الألف تساءلت عن قد يكون مقيما فيه ؟  
ثم دفعني الفضول إلى تصرف خاطيء واذا أنا احاول فتح مصراع خشبي  
للنافذة الأرضية .

- هل فعلت هذا حقا ؟ لا شك انك وجدته مغلقا ؟

- لا .. وجدته مفتوحا .. انه مصراع النافذة الثالثة عند الطرف  
الأيسر من القصر .

فهتف انتوني قائلا :

- عجباً . عجباً . انها نفس النافذة التي ..

وتوقف بغتة ؛ لكن ساترويت لمح البريق الذي تآلق في عينيه في  
تلك اللحظة .

حينئذ نهض وغادر الشرفة مطمئنا .

وفي العاشرة من صباح اليوم التالي ؛ صعد الى حديقة القصر حيث استقبله  
البستاني العجوز مانويل بوردة عاطرة ثبتها في عروة سترته . وفي وسط  
الحديقة وقف ساترويت ينظر الى القصر الصغير الجائم فوق التلة في سكون  
وهدوء وسلام .

وبغثة فتح باب حائبي من القصر وخرجت منه السيدة التي رآها امس  
وشرب معها الشاي .

كانت تتجه اليه بخطوات خفيفة رشيقة كأنها تسير على الهواء او كأنها

انسان يعيش في نشوة حاملة وقد شرب كأس السعادة المترعة فإذا هو يتمايل  
من فرط الفرح والابتهاج . او كأنها زهرة اضناها الجفاف فأسعدتها الطل  
والندى فإذا هي انضروا وأبهى ما تكون .

فأقبلت عليه كأنها البهجة مجسمة ؛ ووضعت يديها على كتفيه وقبلته في  
حب واعتراف بالجميل فأحس بقبلاقتها كأنها لمسات الورد النضير والزهر الناعم  
العاطر والذسيم العذب في يوم حار .

فقالت له بصوت متهدج :

- لشد ما انا فرحة .. لشد ما انا فرحة يا عزيزي كيف عرفت ؟  
كيف أمكنك ان تعرف انه هو ؟ يخيل لي انك ساحر عجيب .

ولمحت انفاسها من فرط الفرح وهي تردف قائلة :

- لسوف نذهب اليوم الى القنصل لنعقد الزواج . وحين يأتي ابننا  
جون سيجد اياه في انتظاره . ولسوف نقول له اننا افترقنا قبل مولده ..  
واخيراً جمعت الأقدار بيننا وتم الصلح ولن يسأل كثيراً عن اسباب  
الخصام حتى لا يخرجنا .  
آه ! ما اشد سعادتي .. ما اشد سعادتي ..

وكانت البهجة حقاً تشع منها وتنتشر حالها كأنها العطر العذب المنساب  
من أجل الورد واعطرها .

وعادت تقول :

- لشد ما كانت بهجة انتوني عندما عرف ان له ولداً . لم يخطر ببالي  
انه سيهتم بالأمر كل هذا الاهتمام . من كان يصدق ان الحياة كانت قدخر  
لنا كل السعادة في النهاية ؟

فقال لها بلطف :

- لسوف تسدين اليه اعظم خدمة اذا انت ملأت حياته بالبهجة في  
الأشهر القليلة القادمة .

فهرقت عيناها بالدهشة ثم قالت بصوت كله التصميم :

- أوه ! أعتقد إنني سأتركه يموت بعد ان انتظرتة كل هذه السنين ؟ .  
لا .. لا ، هذا هو الحال . إن مئات من الأطباء يخطئون في كل أنحاء العالم ،  
وفي كل يوم . وإن مئات من الأطباء يفقدون الأمل في حياة مئات  
المرضى كل يوم ، ولكن الأقسدار تسخر منهم ويموت الطبيب ويعيش  
المريض .

فنظر اليها . وتأمل وجهها الجميل المغمم بالحياة وقوة الارادة والتصميم  
وحب الحياة . وأوماً أخيراً برأسه ..

نعم ، إنه هو ايضاً يعرف أطباء أخطأوا التشخيص وفقدوا الأمل لكن  
المريض عاش واسترد صحته  
وعادت تقول :

- أعتقد إنني سأدعه يموت ؟  
لا .. بل أعتقد ان حبك سيمد في أجله وبطيل في عمره .

\* \* \*

وأخيراً عاد في طريقه إلى المرتفع الصخري بين اشجار السرو . وهناك  
على مقعده البثير وجد شخصاً كان يتوقع ان يلتقي به . إنه مستر كوين الذي  
نهض باسماً في حزن وقال وهو يحببه :

- هل كنت تتوقع رؤيتي ؟

- نعم .

وجلسا معاً .

فقال مستر كوين :

- يبدو من ملامح وجهك انك ، مرة أخرى ، لعبت دور العناية الإلهية في حياة إثنين من المحبين .

- إنك تقول هذا وكأنك لا تعرف شيئاً مما حدث

- الواقع اني جئت هنا لأؤدي مهمة خاصة .

- لمن ؟

- لرجل مات . فأنا كما تعرف احد المدافعين عن الموتى ..

- إني لا أفهم .

فأشار مسر كوين إلى مياه البحر النائر وقال :

- لقد غرق رجل هنا منذ اثنين وعشرين عاماً .

- أنا أعرف هذا ، ولكني لا أفهم ..

- لنفرض رغم كل شيء ان ذلك الرجل كان يحب زوجته إلى حد

الجنون . ومن الممكن ان يحيل الحب الجنوني الرجل إلى ملاك او إلى

شيطان . لقد أحبته الزوجة الشابة حب العذراء ، لكنه لم يستطع هو ان

يوثظ أنوثتها او يرضيها .

وهذا المعجز جعله يشعر بالغضب على نفسه وعلى الناس جميعاً ، وعليها

هي أيضاً ، فراح كالمعتاد في هذه الحالات يتلذذ بتعذيبها ، لأنه يحبها . وهذا

ما يحدث دائماً وانت تعرفه كما أعرفه انا .

- نعم ، نعم .. انا أعرف أحداثاً كهذه لكنها نادرة جداً .

- وأنت تعرف أيضاً ان الإنسان في كثير من الأحيان يندم على ما فعل ،

ويشعر بالرغبة في تعويض الحبيبة عما فعله بها من شر بأي ثمن .

- لكنه مات قبل .

- مات ؟ ما معنى قولك انت مات ! كل ما في الأمر انه انتقل من

حياتنا هذه إلى حياة أخرى ، ولا شك انك تؤمن بتلك الحياة الأخرى

بعد الموت . ومن يدريك إن الروح في هذه الحياة الأخرى لا يكون لها

نفس المشاعر والرغبات والآمال ؟ فإذا كانت الرغبة قوية بما فيه الكفاية ، فإن في مقدورها ان تجد وسيلة لتحقيقها عن طريق شخص آخر لم يمت بعد .

وساد الصمت برهة طويلة ثم قال ساترويت وهو ينهض :

— إني ذاهب إلى الفندق فهل تأتي معي ؟

— لا ، إني عائد إلى المكان الذي جئت منه .

ولما التفت ساترويت وراءه ، شاهد مسار كوين وهو يسير مبتعداً على

حافة المرتفع الصخري .

## صوت في الظلام

قالت الليدي سترانلي للمستر ساترويت :  
- إنني أشعر بالقلق على مارجري ، إبنتي كما تعرف وإن الانسان  
ليشعر بهذه الشيخوخة البغيضة ، إذا كانت له إبنة شابة في مثل عمر  
مارجري .

فقال ساترويت مجاملاً :  
- إن من يراك لا يصدق ان لك إبنة شابة .  
- اوه ا مجرد مجاملة

فنظر ساترويت إلى الليدي في إعجاب ودهشة ، فقد كانت تبدو رغم  
تجاوزها الخمسين من العمر في سن الصبا والشباب ولا شك ان صالونات التجميل  
في كل أنحاء أوروبا ظفرت منها بأموال طائلة .

وكانا جالسين تحت مظلة على شاطئ البحر بمصيف « كان » وعادت  
الليدي تقول وهي تضع ساقاً على ساق وتشغل سيجارتها بقداحة ذهبية  
مرصعة :

- نعم إني أشعر بالقلق على ابنتي مارجوري .

- لماذا ؟ ماذا حدث ؟

- انك لم ترها ؟ اليس كذلك ؟ إنها ابنتي من زوجي السابق  
تشارلس .

وكان ساترويت يعرف ان الليدي سترانلي تتخذ من الزواج هواية ونوعاً  
من اللهو ترجي به وقت فراغها . وقد تزوجت أربعة رجال مات أحدهم ،  
وطلقت الباقيين .

وبعد برهة من الصمت تنهدت الليدي وقالت :

- إن مارجوري أصبحت ترى وتسمع أشياء غامضة .. أشباحاً أو أشياء  
من هذا القبيل . إنها فتاة عاقلة متزنة لا تتردد على الحفلات ولا تهفو إلى  
السهرات الصاخبة ، او بمعنى أصح فتاة من الطراز القديم تحب فقط ركوب  
الخيول والصيد والبقاء في قصرنا بالجملة .

وأرسلت أنفاساً من سيجارتها في الهواء .

ثم عادت تقول :

- إني أشعر بالقلق عليها ، لأن سماع الأصوات الغامضة خطيرة على  
قرب الإصابة بالجنون . والواقع ان قصرنا « أبوت ميد » كان مسكوناً  
بأحد الأشباح . ولكنه هدم تماماً في عام ١٨٣٦ وأعيد بناؤه على الطراز  
الفيكتوري القديم ، واعتقد انه لا يمكن ان يكون مقراً لأي شبح ، لانه  
عادي البناء قبيح الشكل .

فابتسمت الليدي وقالت بفتة :

- خطر لي انك ربما استطعت ان تساعدنا .

- أنا ؟

- نعم انك عائد غداً الى انجلترا اليس كذلك ؟

- نعم ، نعم .

- وأنت تعرف الشيء الكثير عن هؤلاء المتهمين بتحضير الأرواح وما الى هذا .. لا شك في ذلك ، فأنت تعرف معظم الناس ، في كل مكان .

فحاول ساترويت ان يقول شيئاً ، لكنها قاطعته بقولها .  
- حسناً ، إتفقنا . انك رجل ممتاز يا مستر ساترويت . آه ، هذا هو بيمبو .

فرأى ساترويت شاباً في نحو الثلاثين من عمره ، يحمل مضرب التنس ويتقدم نحو الليدي سترانلي ، وكانت هي تبسم له في اغراء واعجاب وتقول :

- انه مدربي في رياضة التنس ، وهو شاب رقيق لطيف يعرف كيف يختار أجمل الألفاظ في حديثه . هاللو بيمبو .

وانطلقت الليدي الى الشاب ، فأركب مستر ساترويت ، يقول لنفسه :

- ترى هل سيكون بيمبو هذا هو الزوج الخامس ؟

\* \* \*

وفوجيء مستر ساترويت وهو في القطار برؤية مستر كوين جالساً في نفس المقصورة فأشرق وجهه ابتهاجاً وقال :

- ما أعجب والطف هذه المصادفة يا عزيزي مستر كوين ؟

- نعم يا مستر ساترويت انها مصادفة لطيفة حقاً .

- انك عائد الى إنجلترا على ما أعتقد ؟

- نعم ، في مهمة خاصة .



فقال ساترويت في شيء من الزهو :  
- وأنا أيضاً ، عائد في مهمة خاصة . لعلك تعرف الليدي  
سترانلي ؟

فلما هم مستر كوين رأسه قاسع ساترويت قائلاً :  
- انها تحمل لقباً قديماً ، قديماً جداً ، من الألقاب التي يتوارثها أفراد  
الأسر جيلاً بعد جيل ، الأكبر فالأكبر من أفرادها ، وهي تحمل لقب  
بارونة بالوراثة المطلقة .  
وتراخى مستر كوين في مقعده ، وهو يمسك كأس شرابه ويتأمله ،  
ثم قال :  
- يبدو انك ستخبرني تاريخ أسرة عريقة يا مستر ساترويت ، ولا شك  
انه تاريخ طريف مشير اليك كذلك ؟

فأشرق وجه مستر ساترويت بالرضا وهو يقول :  
نعم ، نعم .. انها ، هذه الليدي سترانلي امرأة مدهشة ، في الستين  
من عمرها ، ومع ذلك فلو رأيتها لما حسبتها تجاوزت الأربعين ، جميلة ناعمة  
البشرة متألقة العينين وكنت أعرفها ، هي وأختها الأكبر منها بياتريس ،  
منذ كانتا في سن الصبا : بياتريس ، وباربرا . كانتا شابتين جميلتين ،  
فقيرتين في ذلك الحين لكن هذا كان منذ عهد بعيد .

نعم ، فقد كنت انا أيضاً في ذلك العهد شاباً وسيماً ، موفور الحيوية  
والصباح

وكان بينهما وبين اللقب والثروة أشخاص كثيرون من أفراد الأسرة .  
وكان حامل اللقب والحائز على الأملاك كلها اللورد سترانلي ابن عم أبيهما .  
وشاء القدر ان يموت أخواه وابن عم له .

ثم حدثت كارثة الباخرة يوراليا ، هل تذكر مأساة غرقها ؟ لقد هوت الى  
قاع البحر بالقرب من شاطئ نيوزيلاند .

وكانت الفتاتان من بين ركبها ، وقد غرقت الاخت الكبرى بياتريس ،  
ونجت بربارا ، الأخت الصغرى .

وبعد ستة أشهر من الكارثة مات اللورد سترانلي المعجوز ، فورثت بربارا  
اللقب والثروة الضخمة . وراحت ، منذ ذلك الحين ، تعيش من أجل شيء  
واحد فقط نفسها !

لقد ظلت دائماً الفتاة التي تعرف كيف تمتع نفسها بكل أطايب الحياة ،  
وكيف تفكر فقط في مباحجها وسعادتها ، وكل ما يخصها دون  
الآخرين .

وتزوجت أربع مرات ، وأعتقد انها في الطريق للزواج من الخامس  
الآن .

وبعد ان ذكر المستر كوين تفاصيل المهمة التي يسافر من أجلها ،  
الى إنجلترا  
استطرد قائلاً :

- وسأمضي فوراً الى قصر « أبوت ميد » لأزور الابنة الشابة  
مارجري ..

فأنا اشعر انه ينبغي مساعدة هذه الابنة في محنتها .. ما رأيك ؟  
أتأتي معي ؟

- أعتقد اني لن أستطيع ، لكن اليس قصر « أبوت ميد » يقع في  
إقليم ويلشير ؟  
- نعم .

- حسناً ، لسوف أكون مقيماً في فندق صغير بالقرب من مزارع  
القصر ، يدعى فندق « بيلز اند موتلي » ولا شك انك تعرفه لأننا التقينا  
فيه مرة .

- هل سأجده فيه إذا أردت مقابلتك ؟

- نعم .. سأقضي فيه أسبوعاً أو عشرة أيام ، وسوف تجدني في انتظارك هناك .

\* \* \*

قال مستر ساترويت في صوت كله رفق وتلطف :

- تأكدي ، يا عزيزتي مارجري ، إنني آخر من يضحك ، من مخاوفك .

وكان جالساً مع مارجري جيل في البهو الكبير المريح بقصر « أبوت ميد » ، وكانت هي فتاة طويلة القامة ، ملفوفة الجسم ، سوداء الشعر ، أقرب ما تكون شبيهاً بأبيها الذي كان عمدة البلد ، مشهوراً بالقوة والحزم والتصميم وكانت تبدو في نضارتها وصباها واتزان تفكيرها ، أنموذجاً للعقل والحكمة .

ومع هذا فقد تذكر مستر ساترويت ان أفراداً في أسرتهما كانوا يعانون من اضطرابات عقلية ..

فلعل مارجري قد ورثت عن أبيها قوة الجسم ونضارته ، وعن أمها بعض الاضطرابات العقلية .

فقالت مارجري :

- أتمنى لو عرفت كيف أتخلص من تلك المرآة كاسون ، فأنا لا أؤمن بتحضير الأرواح ولا أحب هذه العملية إطلاقاً ، لكنهما متصلبة متعصبة لأرائها ، وهي تصر على استحضار وسيطة روحية ، للتخلص من تلك الأصوات الخفية

فتعلمل ساترويت في مجلسه برهة ..

ثم قال وهو يتنحنح :  
- أرجو أولاً ان ألم بكل الحقائق الأولية . لقد بدأت تسمعين هذه الأصوات

الخفية منذ شهرين ؟ اليس كذلك ؟

- نحو ذلك ! وأحياناً كنت أسمعها خافتة هامسة وأحياناً واضحة قوية ،  
لكن الكلمات كانت هي هي دائماً .

- ماذا كنت تسمعين ؟

- « أعيدي ما ليس لك .. أعيدي ما سرقت » ! وفي كل مرة كنت  
أضيء الغرفة فلا أجد أحداً . وأخيراً اضطربت أعصابي ، جعلت كلايتون  
وصيفة أمني تنام على أريكة معي في نفس الغرفة .

- ومع ذلك كنت تسمعين الصوت كالمعتاد ؟

- نعم وهذا ما يفزعني لأن كلايتون لم تكن تسمع هذا الصوت ولهذا  
السبب نصحتني بعرض نفسي على طبيب لكنها بعد الذي حدث في الليلة  
الماضية بدأت قلتعس لي العذر .

- وماذا حدث في الليلة الماضية ؟

- كنت سأخبرك به ، رغم اني لم أخبر أحداً قط . كنت طول يوم  
أمس أمارس رياضة الصييد ، ومن ثم استغرقت في نوم عميق من فرط  
التعب والإجهاد .

رأيت في المنام حلماً رهيباً . رأيت اني أقع على حاجز حديدي  
مدبب ، وان أحد قضبانه المدببة دخل في عنقي ، وان ذلك الصوت  
الخفي يقول لي :

« أعيدي ما سرقتني مني ، وإلا فالموت لك » .

فصرخت في فزع ، وضربت الهواء بيدي ، لكنني لم أجد شيئاً ..  
واستيقظت كلايتون على صرختي وكانت نائمة في الغرفة التالية مباشرة ،

فأسرعت إلي ، وشمرت بوضوح بشيء ما يلامسها ، وهو يخرج من الغرفة ، ولكنها تؤكد ان هذا الشيء ، أيا كان ، فلن يكون مخلوقاً آدمياً .

فحملق مستر ساترويت في وجه مارجري ، وأمارات الدهشة بادية على وجهه .

ثم تحولت نظراته إلى ضمادة صغيرة تخفي جرحاً في عنقها ، فأومات برأسها وقالت :

.. نعم .. هذا هو أثر ذلك السن المدبب الذي شعرت به أثناء الحلم ، ومعنى هذا ان الأمر ليس مجرد أوهام فقط .  
هل هناك أحد يكرهك او يحقد عليك ؟  
- لا طبعاً لماذا ؟

- لا شيء مجرد سؤال . هل كان لديك ضيوف يقيمون معك في القصر خلال الشهرين الماضيين ؟

.. إن مارسيا كين ، هي من أعز صديقاتي ومن هاويات ركوب الخيل مثلي ، هي فقط التي أقامت ولا تزال تقيم معي هنا منذ أكثر من شهرين ، وهناك ابن عمي رولي فافوزوار الذي يقضي معنا أياماً كاملة ، بين الحين والآخر .

هذا عدا ضيوف نهاية الأسبوع كالمعتاد

فأوما ساترويت برأسه ، ثم اقترح ان يرى الوصيفة كلايتون ، وهو يقول :

- أعتقد انها كانت معك منذ أمد بعيد ؟

- نعم .. فقد كانت وصيفة لأمي ولخالتي بياتريس عندما كانتا شابتين وهذا على ما أعتقد ، ما جعل أمي تحتفظ بها ، رغم انها تستخدم لنفسها وصيفة فرنسية خاصة . وان كلايتون تقوم الآن بأعمال الخياطة ،

وبعض الأعمال الخفيفة في القصر .

ونَهَضت مارجري فمضت مع مستر ساترويت إلى الطابق الأعلى من القصر ولم تلبث الوصيصة كلايتون ان اقبلت .

فراها ساترويت سيدة عجوزاً ، طويلة القامة ، نحيلة الجسم ، تفرق شعرها الأشيب من الوسط بعناية ، وتبدو نموذجاً للوقار والثبات .

وقد قالت بحبيبة على أسئلة ساترويت :

- لا يا سيدي ، إني لم أسمع أبداً ان هذا القصر « مسكون » بشبح . والواقع إني ظننت مس مارجري راحمة تماماً حتى رأيت ما حدث بالامس . فقد أحسست فعلاً بشيء يلحسني ، وهو يسرع في الظلام ، شيء لا يمت إلى البشر أبداً .

ثم هناك أيضاً ذلك الجرح في عنقها . فليس من المعقول ان تكون قد فعلت هذا بنفسها !

لكن هذه الكلمات الاخيرة جعلت مستر ساترويت يتساءل :

- هل يمكن ان تكون مارجري قد جرحت نفسها حقاً حتى تثبت للجميع انها ليست راحمة ؟

لقد سمع عن حالات كثيرة كانت فيها كل فتاة تبدو عاقلة مثل مارجري ومع ذلك ترتكب مثل هذه المحاقات .

فقالت كلايتون :

- إنه جرح بسيط ، فسوف يلتئم بسرعة .. وليس مثل هذا الجرح .

فأشارت إلى أثر جرح في جبينها ..

وقابت تقول :

- لقد أصبت بهذا الجرح ، منذ أربعين عاماً ، ولا زال أثره

بأقيا .

فقلت مارجري .

— أصيبت عندما غرقت الباخرة بوراليا ، وذلك عندما سقط على رأسها قضيب حديدي ، اليس كذلك يا كلايتون ؟

— نعم يا آنسقي .

فقال ساترويت :

— وما رأيك الخاص في هذا الموضوع يا كلايتون ؟ أعني موضوع المس ماجري جيل ؟

— إني في الواقع أفضل ألا أقول شيئاً .

— لماذا ؟

— لاني أعتقد ان ظلماً كبيراً حدث في هذا القصر ، وحتى يرتفع الظلم ويعود الحق إلى أصحابه فلن يكون هناك راحة أو سلام .

ركابت وهي تقول هذا تنظر إلى وجه ساترويت في ثبات ، بعينيهما الزرقاوين الباهتتين

\* \* \*

هبط إلى الطابق الارضي ، وهو غير مقتنع برأي كلايتون في أن ظلماً كبيراً وقع في هذا القصر ، .

فخطر له أن هذه الظاهرة الخفية لم تحدث إلا منذ شهرين ، أي منذ إقامة مارسياكين ، صديقة مارجري في القصر ، ومنذ ان أخذ ابن العم رولي فافوزوار يتردد كثيراً للاقامة فيه .

ومن ثم قرر ان يعرف الشيء الكثير عن هذين الشخصين ولعل الامر

كله لا يعدو ان يكون دعابة من النوع الثقيل .  
ووجد مارجري تفتح الخطابات الواردة اليها في ذلك اليوم ، فلما رآته  
قالت له في دهشة .

— إن أمي غريبة الاطوار في رسالتها هذه . إقرأها !  
فقرأ في الرسالة ما يلي :

« حبيبتي مارجري

« سرني ان المستر ساترويت ينزل ضيفاً عليك فهو يعرف الكثيرين من  
المستغلين بالمباحث الجنائية ، ويمكنه الالتجاء اليهم ليكشفوا عن مر هذه  
الأصوات الخفية التي تسمعينها . وأتمنى لو اني بجانبك ، لكنني أشعر من هذه  
الأيام الأخيرة بتوعلك مستمر في صحتي ، ويبدو ان الفندق قد أصبح يعمل  
كثيراً في إعداد الطعام ، فإن الطبيب يقول : إني أعاني من تسمم بطني .  
والواقع اني كنت منذ ثلاثة أيام مريضة جداً .

« أشكرك على هدية الشكولاته التي بعثتها إلي .

« وعلى الجملة إنني الآن بخير ، ويقول بييمبو إني أتقدم كثيراً في رياضة  
التنس .. تحياتي اليك .. »

فسألها ساترويت بغتة :

— هل بعثت اليها حقاً هدية من الشكولاته ؟

— لا . وهذا ما يشير دهشتي من خطابها . لا شك ان شخصاً ما بعث اليها  
هذه الهدية .

فأوما ساترويت برأسه وهو يربط في ذهنه بين الشكولاته المرسلة من  
شخص مجهول ، وبين التسمم البطني الذي عانت منه الليدي سترانلي وظنت  
ان طعام الفندق هو السبب .

وهنا أقبلت فتاة طويلة خمرة اللون من غرفة الجلوس وانضمت اليهما ،  
فعرف ساترويت حين قدمتها مارجري اليه ، إنها الصديقة مارسياكين ،



وقد نظرت اليه في شيء من الدعابة والتمهم .

فقلت بصوت ممطوط :

- هل جئت للايقاع بشبح مارجري الأليف ؟ إننا جميعاً مهتمون بأمر هذا الشبح . آه .. ها هوذا رولي .

وتوقفت أمام القصر سيارة هبط منها شاب طويل ذهبي الشعر ، كثير الحركات

فهمتف بمارجري قائلاً :

- هاللو مارجري ! هاللو مارسيا ! لقد جئت اليكما بالمدد لمقاومة الشبح ! .

ثم استدار إلى امرأتين كانتا تدخلان معه القاعة .. فتابع يقول :

- أرجو أن تنجحوا في هذه المقاومة الليلة .

فعرف سارويت ان إحداها هي مسز كاسون التي حدثته مارجري عنها منذ لحظات

فقلت هذه السيدة وهي تبتمسم .

- أغفري لي مس مارجوري ، فقد أصر المستر فافوزوار ان نجرب استخدام الأرواح لطرد هذا الشبح . ولهذا جئت معي بالمسز لويد ، الوسيطة الروحية .

فانحنيت مسز لويد تحية للجميع ، وكانت شابة من النوع العادي تكثر من وضع المساحيق على وجهها ، وكانت تزين بقلادة من أحجار القمر ، وعدد من الخواتم .

ولاح على مس مارجري بوضوح انها لم تبتمهم لحضور مسز لويد هذه ، وإنما اقلت نظرة غاضبة على رولي فافوزوار ، الذي لم يبد انه شعر بارتكاب أي خطأ .

وأخيراً قالت :

- إن طعام الغداء معد ، هلم اليه .

فلم تتناول الوسيطة الروحية غير الفاخرة أثناء وجبة الغداء . وقبيل الفراغ من تناول الطعام ، ألقت برأسها إلى مسند المقعد ، وقالت وهي تتشمم الجو :

- أشعر أن في هذا القصر شيئاً ليس كما ينبغي !

وتمتت مسر كاسون في ابتهاج :

- اليس هذا رائعاً يا عزيزتي مارجري ؟

وعقدت جلسة تحضير الأرواح في غرفة المكتبة ، وبعد اتخاذ الترتيبات الدقيقة لعقد الجلسة ، أعانت الوسيطة الروحية إنها مستعدة للبدء ، ثم قالت :

- إننا هنا ٦ أشخاص ، يحسن ان نكون ٧

فاقترح رولي إحضار أحد الخدم ، لكن مارجري طلبت إحضار الوسيطة كلايتون ، وهنا لاحظ ساترويت إمارات الاستياء على وجه الشاب الذي قال :

- لكن لماذا كلايتون بالذات ؟

فقالت مارجري ببطء :

- إنك لا تحب كلايتون .

- الواقع انها هي التي لا تحبني ، وعلى كل حال ، إنني لا أعارض في حضورها .

وتم عقد الجلسة ، وأسدت الستائر الكثيفة ، وبعد برهة من الصمت سمع الجميع نقرات متتالية ، وإذا بروح هندي أحمر تتحدث عن طريق الوسيطة :

- المحارب الهندي يحييكم أيها السادة والسيدات . هنا يجانبي روح تريد

أن تتحدث في لهفة . تريد أن تبليغ رسالة لمس مارجري .  
وبعد برهة من الصمت سمع الجميع صوتاً نسائياً ناعماً يقول :  
— هل مارجري موجودة ؟  
فقال رولي فافوزوار :  
— نعم .. من التي تتكلم ؟  
— إنها خالتهما بياتريس .

وهنا بدأ الاهتمام الشديد على وجه مستر ساترويت وهو بصيخ السمع .  
فعاد الصوت النسائي الخافت الناعم يقول :  
— أنا بياتريس التي غرقت مع البساعة بوراليا .. ولدي رسالة  
يجب ان أبلغها لابنة اخي ، المس مارجري : « أعيدي ما ليس لك  
لأصحابه » .

فقال مارجري في تحاذل واستسلام :  
— إني لا أفهم شيئاً . هل أنت خالتي بياتريس ؟  
فأسرعت مسز كاسون تقول بحذرة :  
طبعاً هي .. لا ينبغي أن ترقابي في شخصية الأرواح ، فلأنهم  
لا يحبون هذا .

وبفتة ومضت بذهن مستر ساترويت فكرة لخطه جملته يقول :  
— هل تذكرين مستر بوقا كيتي ؟  
وسرعان ما سمع ضحكة خفيفة أعقبتها هذه الكلمات :  
— آه ، المسكين بوقا بسيتي .

فذهل مستر ساترويت . لأن معنى كلمة بوقا بسيتي « القارب المقلوب » .  
وكان هو وبربارا وبياتريس يهيمون في نفس المصيف برايتون ، منذ أربعين  
عاماً ، وقد حدث ان صديقاً إيطالياً شاباً خرج إلى البحر في زورق  
صغير إنقلب به .

وقد أطلق عليه الجميع بعد ذلك اسم بوقاسيني ولم يكن في الغرفة أحد يعرف هذه الحادثة التي مضى عليها أربعون عاماً . ومعنى هذا ان الروح نجحت في الاختبار .

وتعلمت الوسيطة في مجلسها ، وغفمت بكلمات غامضة ، وهنا قالت مسز كاسون :

- هذا يكفي الآن . ان الوسيطة الروحية توشك ان تفيق .

وسرعان ما انسكب ضوء النهار مرة اخرى في قاعة المكتبة ، حيث كان الجميع جالسين ، وحيث ظهر بوضوح ان اثنين منهم شعرا بالخوف الشديد .

ورأى مستر ساترويت على وجهه مارجري الشاحب امارات القلق والاضطراب .

فلما انفرد بها في غرفة خاصة قال لها :

- أريد ان القي عليك سؤالاً او اثنين يا مس مارجري . إذا توفيت انت ووالدتك فمن الذي يرث اللقب والأموال كلها ؟

- رولي فافوزوار لأنه ابن عم أمي مباشرة .

فأرماً برأسه ثم قال :

- إنه يتردد عليك كثيراً هذا الشتاء . فهل هو . يحبك ؟

- لقد عرض علي الزواج منذ ثلاثة أسابيع ، لكنني رفضت .

- أرجو أن تغفري لي فضولي ، إذا قلت : هل تحبين أحداً

آخر ؟

فاضطرم وجهها خجلاً ثم قالت :

- لسوف أتزوج نوبل بارتون الكاتب . إن أمي تعارضني في هذا ،

لكن ما عيب نوبل بارتون ، إنه شاب رزين رياضي ، لا مثيل له في ركوب الخيل .

وفي تلك اللحظة أقبل احد الخدم يحمل صحيفة فضية عليها برقية .  
فلما فضتها هتفت قائلة :

— عجباً ! إن أمي سوف تصل غداً .

وهنا قال ساترويت :

— في هذه الحالة لم يعد لبقائي أية فائدة .. فسوف أعود اليوم  
إلى لندن .

وأحس ساترويت ، وهو في طريقه إلى لندن ، أن عبئاً ثقيلاً رفع  
عن كاهله ، ذلك ان عودة الليدي سترانلي قد أعفته من مسؤوليته تجاه  
الإبنة مارجري .

لكنه في قرارة نفسه ، كان يدرك ان شيئاً ما سوف يحدث في قصر  
« أبوت ميد » .

وقد حدث ما كان يخشاه ..

ففي ذات صباح فوجيء بخبر منشور في صحيفة الدبلي ميغافون  
مؤداه ان الليدي سترانلي وجدت ميتة في « البانيو » بحمامها ، وإن الفحص  
الطبي أثبت ان وفاتها نشأت من اسفكسيا الغرق ، وان المرجح انه أغمر  
عليها أثناء الاستحمام ، ثم انزلق جسمها في « البانيو » حتى أصبح رأسها تحت  
سطح الماء ففرقت .

لكن مستر ساترويت لم يقتنع بهذا التعليل ، ومن ثم انطلق بسيارته  
الرولز في الطريق الى إقليم ويلشير .

لكنه لم يرض فوراً الى قصر « أبوت ميد » وإنما عرج على فندق « بيلز  
آند موتلي » حيث وجد مستر كوين مقيماً به كما وعده .

وبعد ان تصافحا بحرارة ، قال مستر ساترويت في انفعال :

— إني محتاج الى معونتك ، فأنا أشعر في أعماق نفسي ان مارجري  
جيل ممرضة لخطر شديد بعد موت أمها . وهي فتاة طيبة ومستقيمة

ويجب درء الخطر عنها .

— يحسن أن تخبرني بالموضوع كله .

فأخبره ساقرويت بالقصة كلها ..

فقال المستر كوين :

— إن عليك أن تكشف الغموض الذي يكتنف هذا الموضوع . فإنك الذي تعرف المقيمين في هذا القصر .

— نعم ! انني أعرف الشقيقتين بياتريس وبربارا منذ أربعين عاماً . ولا أنسى الأيام التي سعدنا فيها معاً في مصيف برايتون ، والاسم الذي أطلقناه على ذلك الصديق الايطالي « بوتاسيتي » ..

بل أذكر وصيفة شابة تدعى « اليس » جميلة عذبة كانت معها ، وقد قبلتها ذات مرة في دهليز الفندق وكادت إحدى خادمتي الفندق ان تضبطنا آه ، ما أجمل أيام الشباب !

وتوقف بغتة ثم تنهد قائلاً :

— كأنك لن تستطيع مساعدتي ؟

— لو اني في موضعك ، لذهبت الى قصر « أبوت ميد » الآن .

— اني ذاهب فعلاً ألا تأتي معي ؟

— لا : ان لدي مهمة خاصة يجب ان أقوم بها هنا .

\* \* \*

وفي « أبوت ميد » جلس مع مارجري في غرفة مكتبتها ، وكانت عندئذ مشغولة بشيء ما .

فلما رآته سرت قائلة :

— أحسنت بالحضور يا مستر ساترويت . فالواقع اني غير مطمئنة إلى ما حدث لأمي ، إن رأيي الخاص هو ان شخصاً ما ضغط على رأسها تحت سطح الماء حتى غرقت ، وإن الذي قتلها سوف يقتلني أيضاً ، ولهذا فأنا الآن أكتب وصيتي .

ثم أشارت إلى الورقة المكتوبة أمامها وهي تقول :

— لقد رحل رولي فافوزوار ومارسياكين ، وإن اللقب وجزءاً كبيراً من ممتلكاتي ستكون من نصيب رولي بعد وفاتي ، ولكنني أمتلك أموالاً ضخمة ورثتها عن أبي . فسوف أوصي بهذه الأموال كلها إلى حبيبي نويل . وأرجو ان تشهد على وصيتي هذه . أما الشهادة الأولى فهي وصيتي كلايتون هذا هو توقيعها .

فأمسك بالقلم ليوقع ، وبغثة قرأ اسم كلايتون كاملاً « اليس كلايتون » فتوقف وقد اعترته الدهشة .

فقد عادت به الذاكرة إلى الوراء أربعين عاماً ، إلى مصيف برايتون ، وإلى الوصيفة الشابة الحلوة « اليس » التي قبلها ذات مرة ، والتي كان معجباً أشد الإعجاب بعينيها العسلين .

وبغثة أدرك كل شيء ، وإذا هو يستغرق في أفكاره حتى تنبه على صوت مارجري وهي تقول :

— ماذا بك يا مستر ساترويت ؟

— لا شيء . لا شيء .. ولكنني عرفت الآن كل شيء . يجب أن تعدي نفسك للمفاجأة .

إن السيدة الموجودة هنا باسم الوصيفة « اليس كلايتون » ، ليست هي كلايتون إطلاقاً . إن كلايتون الحقيقية ماتت غرقاً ، في حادث الباخرة يوراليا .

فحملت مارجري في وجهه ، ثم تمنت في ذهول .  
- إذن من تكون كلايتون الموجودة هنا ؟

- إني واثق الآن تماماً أنها . إنها خالك بياتريس ، الأخت الكبرى  
لوالدتك . هل تذكرين قولك لي أنها أصيبت في الحادثة بوقوع قضيب  
حديدي على رأسها ؟ .  
أعتقد ان هذه الإصابة قد أفقدتها الذاكرة تماماً ، وهذا رأيت والدتك  
الفرصة سانحة فقررت ان ..

- أن تظفر باللقب والثروة .. اليس هذا ما تعنيه ؟  
نعم . هذه طبيعة أمي ، رحمها الله ، لم يكن يعنيه شيء ..  
غير نفسها .

- كانت بياتريس هي الأخت الكبرى التي لها حق الوراثة ، بعد  
موت عمك الكبير الموردي سترانلي . كانت ستراث كل شيء ، بينما لا تراث  
أمك شيئاً ولهذا زعمت ان الفتاة الجريحة الفاقدة الرشيد ، هي وصيفتها  
« اليس كلايتون » وليست أختها . واستعادت الفتاة صوابها ، لكنها فقدت  
ذاكرتها فلم تعرف إلا انها اليس كلايتون كما قالوا لها ، ولكن مع مرور  
الزمن بدأت ذاكرتها تعود ، ويبدو ان عودة الذاكرة كان مصحوباً باضطراب  
في عقلها .

فنظرت مارجري في فزع قائلة :  
- لهذا قتلت أمي ثم أرادت ان تقتلني ؟

- هذا ما يبدو ، فإن عقلها المضطرب جعلها تلجأ الى هذه التصرفات  
الغامضة ، وإلى إفزاعك بالأصوات الخفية ، لكي تسترد ممتلكاتها الموروثة  
منك ومن أمك .

- ولكن . لكن كلايتون يبدو أكبر سناً جداً من أمي ، بينما لم يكن  
الفارق بينهما غير عامين فقط .



فابتسم ساقرويت في إشفاق ثم قال :  
— هذا هو ما يصنعه المال الكثير ! لقد أبقت الثروة على جمال والدتك ،  
وكست مباحج الحياة وجهها بالنضارة والضباب . أما بياتريس ! . حسنًا .. لم  
نصعد اليها ..  
وهناك في غرفتها الخاصة ، رأياها جالسة بلا حراك في مقعدها الوثير وبين  
يديها أشغال الابرّة .  
كان وجهها جامداً شاحباً لا أثر للحياة فيه .  
فلما فحصها مستر ساقرويت قال في إشفاق :  
— مانت بالسكّنة القلبية وحسنًا فعلت !

## اللوحة

مشى المستر ساترويت متمملاً في شارع بوند ستريت ، مستمتعاً بدفء الشمس ، في طريقه إلى معرض هاركستر للصور الفنية ، حيث كان الرسام العبقرى الجديد فرانك بريستو ، يعرض أول مجموعة من لوحاته الفنية .

وفيا هو يدخل إلى ردهة المعرض حياه أحد المشرفين على المعرض قائلا :

- طاب صباحك يا مستر ساترويت ، لقد كنا نتوقع حضورك ، يوماً بعد آخر .. ولا شك أنك ستعجب بهذا الفنان الجديد ، أشد الإعجاب

ومضى مستر ساترويت إلى قاعة المعرض الواسعة المستطيلة ، التي علقت اللوحات المعروضة على جدرانها الأربعة ، وراح في إعجاب واضح ، يتأمل المسات الفنية الأصيلة البادية في خطوط كل لوحة على انفراد .

وتوقف برهة أمام لوحة تمثل جسر وستمنستر بما عليه من مارة وسيارات خاصة وعامة ومركبات مختلفة الأنواع ، وكان الفنان قد أطلق على هذه اللوحة اسم « مستعمرة النمل »

ثم تحرك الى اللوحات الأخرى حتى توقف أمام لوحة جعلته يتسمر في مكانه .

كانت اللوحة تسمى « موت المهرج » وكانت أرضيتها ، أو الجزء الأمامي منها ، تمثل أرضية شرفة كبيرة ذات بلاط من اللونين الأبيض والأسود ، وفي وسطها رقدت جثة مهرج ميت في ملابسه الحمراء والسوداء وقد مد ذراعيه على جانبيه ، وفي الجزء الخلفي من اللوحة ، جدار جانبي للشرفة الكبير ، فيه نافذة زجاجية ، ومن ورائها بدا وجه ينظر بهدوء إلى « المهرج الميت » .

وأعجب ما في اللوحة أن التشابه كان واضعاً بين الوجه الذي كان ينظر من وراء النافذة وبين وجه « المهرج الميت » ..

فكأنما أراد الفنان أن يرمز لروح الميت حين ترقب الجسد ، بعد انفصالها عنه .

لكن الشيء الذي أثار انفعال مستر ساترويت ، هو انه عرف ، أو خيل اليه انه عرف « وجه المهرج الميت » ، لأنه كان يشبه إلى حد كبير وجه صاحبه ذلك الرجل الخفي ، مستر كوين الذي كان يظهر في حياته ويختفي في أوقات معينة .

فقال لنفسه متعجباً :

.. اني غير مخطيء بالتأكيد ! فما معنى هذا ؟

ذلك ان التجارب أكدت له ان كل مره يرى فيها مستر كوين ، لا بد وان يكون وراء ظهوره سبب معين .

وكان ثمة شيء آخر قد أثار اهتمامه باللوحة ، ذلك انه عرف المكان الذي

صوره الفنان بريشته

ومن ثم عاد يقول لنفسه :

- إنها الشرفة الكبيرة ، في قصر اللورد شارنلي ؟ عجباً !  
عجباً !

وبعد ان شاهد جميع اللوحات المعروضة ، ذهب إلى مدير المعرض ،  
مستر كوب ..

فقال له بعد أن تبادل التحية معه :

- بودي ان أشتري اللوحة رقم ٣٩ ، إذا لم يكن أحد قد سبقني  
إلى شرائها !

فقال مستر كوب بعد ان راجع دفتره :

- أوه ، لقد عرفت كيف تختار يا مستر ساترويت .. كلا لم يشتريها  
أحد ، إنها فعلاً تحفة ، وأعتقد انك بعد عام ستجد من يعرض عليك ثلاثة  
أضعاف ثمنها .

- هذا ما تقوله لي دائماً يا مستر كوب ، اليس كذلك ؟

فابتسم الرجل وقال :

- هل تراني خدعتك ذات مرة ؟ ألم يصدق حدسي دائماً ؟

- نعم ، نعم . أعترف بهذا .. حسناً . سأكتب لك الآن شيكاً  
بثمان اللوحة .

- انك لن تندم على هذا . فلان بريستو فنان ، سيخلد التاريخ  
اسمه !

- أهو لا يزال بمرحلة الشباب ؟

- إنه في السادسة أو السابعة والعشرين من عمره .

- انني أرغب في مقابلته ، ولعله يقبل دعوتي ، لتناول العشاء  
معي الليلة .

فأوماً المستر كويب برأسه وقال :  
- سأعطيك عنوانه ولا شك انه سيبتهج بهذه الدعوة لأنك معروف للجميع  
كواحد من أنصار الفن والفنانين .

فقال ساترويت وهو يهم بالذهاب :  
... إياك تمتدحني أكثر مما أستحق ..  
فقاطعه مستر كويب بغتة قائلاً :  
- ها هوذا قد حضر ، فسأقدمك له فوراً

ونخض عن مكتبه ، وشرع يقدم المستر ساترويت الى الفنان الشاب  
الوسيم ذي الجسم الكبير والوجه الحالم .. وبعد التعارف ، قال المستر  
ساترويت :

- كان لي ، الآن ، شرف شراء لوحتك الرائعة : « موت  
المهرج » .

فابتسم الفنان الشاب وقال  
- أعتقد انك لن تخسر كثيراً من شراء هذه اللوحة ، أعتقد انها جيدة ،  
وإن كان لا ينبغي ان أقول هذا .

- بل هذه هي الحقيقة يا مستر بريستو ، وإني شديد الإعجاب بلمساتك  
الفنية ، وإني لأرجو ان تشرفني بقبولك دعوتي لتناول العشاء معي الليلة إذا  
لم تكن مرتبطاً بموعد سابق

- الواقع إني غير مرتبط بموعد الليلة ، ومن ثم يسرني أن أقبل  
دعوتك .

- إذن . هل أنتظر الساعة الثامنة مساء ؟. هذه بطاقتي وعليها  
العنوان .

- أوه .. حسناً .. شكراً جزيلاً .

فقال ساترويت لنفسه وهو ينصرف :

- إنه شاب عبقرى لطيف .. ولكنه ، كما يبدو ، خجول لا يعرف قدر نفسه .

ووصل فرانك بريستو في الثامنة وخمس دقائق مساء ، حيث وجد لدى المستر ساترويت ضيفاً آخر هو الكولونيل مونكتون . ومضى الثلاثة فوراً إلى مائدة العشاء ، حيث كان ثمة مقعد رابع خال قال عنه ساترويت :

- إنى أنتظر حضور صديق لى ، يدعى كوين ، هارلى كوين ، هل تعرفه يا مستر بريستو ؟

فاضطرم وجه الفنان الشاب وقال مرتبكاً :  
- الواقع انه هو الذى أوحى لى بفكرة لوحة «موت المهرج» وكان طبيعياً أن يأتى الشبه مماثلاً بينه وبين وجه المهرج .

وكان الكولونيل مونكتون يتأمل الفنان الشاب كأنه «نوع جديد من الأسماك النادرة» .

هذا بينما كان ساترويت يقول :  
- الواقع ان هذا الشبه هو الذى حفزنى على شراء اللوحة ، كما اننى أعرف المكان الذى صورته فيه ، إنها الشرفة الكبيرة فى قصر اللورد شارنلى ، اليس كذلك ؟

فلما أوما الفنان برأسه تابع ساترويت يقول :  
- لقد نزل فى ضيافة اللورد شارنلى بضع مرات قبل مأساته ولعلك تعرف بعض أفراد أسرته .  
فقطب بريستو جبينه وقال :

- يؤسفنى اننى لم أعرف أحداً فى هذه العائلة لكن مستر كوين هو الذى اقترح على رسم تلك اللوحة هناك .  
وبعد لحظات من حديث عادى قال ساترويت :

- إن قصر شارنلي من القصور التي تستهوي الناس لزيارتها ، وقد زرقه مرة بعد المأساة .

فقال بريستو :

- نعم ا. إنه قصر تاريخي ، يحيط به جو من الغموض ، والأسرار ..

فقال الكولونيل مونكتون :

- يقال ان فيه شبحين ، لا شبحاً واحداً .. شبح الملك شارلس الأول يحوب أنحماه وهو يحمل رأسه تحت ذراعه ، ولا أدري لماذا؟ ا شبح السيدة ذات الوعاء الفضي ، التي يقال أنها ترى دائماً بعد موت أحد أفراد عائلة شارنلي .

وغمغم بريستو متبهكماً :

- خرافات !

فقال ساترويت بسرعة .

- إنها عائلة سيئة الطالع . فقد مات أربعة من حاملي اللقب ميتة شنيعة وأخيراً مات اللورد شارنلي منتحراً .

فقال الكولونيل بأسى :

- كانت مأساة مؤلمة ، وكنت هناك عندما وقعت .

فقال ساترويت :

- آه ، نعم كم مضى عليها الآن ؟ نحو أربعة عشر عاماً ، ولا يزال القصر مهجوراً منذ ذلك الحين .

فقال الكولونيل :

- إنني لا أعجب لهذا ، فلا شك ان المأساة كانت صدمة قاسية على عروس اللورد الشابة التي لم تكن تتجاوزت السابعة عشرة ، والتي لم يكن قد مضى على زواجها باللورد أكثر من شهر ..

وكان اللورد شارنلي قد عاد معها بعد شهر العسل ، وأقام حفلة تذكارية راقصة احتفالاً بهذه المناسبة .

وبينما كان المدعوون يتوافدون ، إذا باللورد الشاب يدخل إلى الغرفة المسماة « قاعة السنديان » ويغلقها على نفسه ثم ينتحر ، وكان الحادث شاذاً لا يكاد يصدقه أحد ..  
آه ، ماذا تقول ؟

والتفت بسرعة نحو الستار ، ثم نظر إلى ساترويت ، ثم ضحك وهو يقول معتذراً :

- يبدو ان ذكرى المأساة أثرت على أعصابي ، فقل خيل إلي إنني سمعت شخصاً يحدثني من هذا المقعد الحالي .

وتابع حديثه الأول قائلاً :

- كانت الصدمة عنيفة على عروس اللورد ، اليس شارنلي . وكانت يومذاك من أجمل الفتيات اللاتي يمكن أن يراهن الإنسان في أي مكان .. كانت من النوع الممتلئ بحب الحياة ، وبالرغبة في الارتواء منها . لكنها الآن تعيش كالشبح . إنني لم أرها منذ أعوام ، وأعتقد انها تعيش خارج البلاد معظم الوقت ؟  
- والابن ؟

- إنه في كلية أيتون . ولا يدري أحد ماذا سيفعل ، حين يبلغ سن الرشد .. إنني لا أعتقد ، على كل حال ، إنه سيعيد فتح أبواب القصر .

وهنا نهض ساترويت وقال :

- هلم إلى غرفة التدخين ، فإن لدي مجموعة من الصور الفوتوغرافية للقصر شارنلي وأحب ان أطلعكم عليها .

وكان من بين هوايات ساترويت هواية تصوير منازل وقصور أصدقائه



من الداخل .

وقد ألف في هذا الموضوع كتاباً سماه « بيوت أصدقائي » وقد ابتهج أصدقائه بهذا الكتاب وراحوا يتفاخرون باقتنائه .

وقال وهو يسلم بريستو إحدى الصور :

- هذه صورة الشرفة الكبيرة ، وقد التقطتها في العام الماضي من نفس الزاوية التي رسمت منها صورتك . أترى هذه السجادة الصغيرة في جانب من الشرفة ، إنها سجادة رائعة .. كنت أتمنى لو استطعت ان التقطها بشريط ملون .

فقال بريستو .

- إنني أتذكرها ، إنها رائعة اللون حقاً ، كأنها قطعة من النار المتوهجة ، ولكنني ألاحظ أن وضعها على أرضية هذه الشرفة الواسعة لا يتلاءم مع الذوق السليم ، لأنها صغيرة جداً بالنسبة لاتساع الشرفة ، حق بدت كأنها بقعة ضخمة من الدماء على الأرضية ذات اللونين الأبيض والأسود . بل لقد خيل إلي أن وضع هذه السجادة النارية في ذلك المكان يوحي بقسوة المأساة التي حدثت في « قاعة السنديان » المؤدية إليها .

وقال الكولونيل :

قاعة السنديان آه ، نعم إنها القاعة المسكونة بالشبح . ويقال ان بين الواح جدرانها لوحاً بالقرب من المدفأة يخفي وراءه مخبأ سرياً ، كما يقال ان تشارلس الأول لجأ الى هذا المخبأ السري ذات مرة . ويقولون أيضاً ان اثنين مافا فيها أثناء المبارزة بالمسدسات نعم ان ريجي شارنلي انتحى في هذه القاعة نفسها .

ثم تناول الصورة ، من يد بريستو . وأردف قائلاً ، وهو يتأملها :

- عجباً !. إنها السجادة الحمراء الرائعة التي قيل انها تساري أكثر من

ثلاثة آلاف جنيه ..

وحين كنت هناك ، قبيل الحفلة ، لاحظت انها كانت موضوعة في قاعة  
السنديان ، وهي فعلاً مناسبة لهذه القاعة .  
ولا أدري من نقلها من القاعة إلى هذه الشرفة الواسعة ذات الأرضية  
الرخامية !

ونظر ساترويت الى المقعد الخالي ، الذي كان قد وضعه إلى  
جانب مقعده .

ثم قال بشرود ذهن :

-- نعم ، من نقلها ، ومتى ؟

فقال الكولونيل :

— أعتقد أنها نقلت من الغرفة إلى الشرفة في نفس يوم المأساة ، لأنني  
أذكر ان شارنلي حدثني عنها وهي لا تزال في الغرفة ، وقال انه يفكر في  
الاحتفاظ بها داخل خزانة زجاجية حسنة التهوية .

قال ساترويت :

— لقد أغلقت أبواب القصر بعد المأساة مباشرة ، وقد بقي كل شيء في  
مكانه منذ ذلك الحين .

وفجأة قال بريستو متسائلاً :

— لماذا أطلق اللورد شارنلي الرصاص على نفسه ؟

فتملأ الكولونيل مونكتون في مقعده وقال :

— لا أحد يعرف السبب .

وهنا قال ساترويت :

— أظن ان الأمر انتحار !

فنظر الكولونيل اليه مندهشاً وقال :

— تظنه انتحاراً ؟ عجباً ! إنه انتحار طبعاً يا عزيزي . لقد كنت حاضراً

في القصر حين وقوع المأساة

فنظر ساترويت الى المقعد الخالي وابتسم لنفسه كأنما يضحك من فيكاهة  
خاصة لا يعرفها أحد .

ثم قال :

- إن الانسان أحياناً يرى بوضوح بعض الجوانب التي كانت غامضة إذا  
مرت عليها أعوام كثيرة  
فقال الكلونيل محتجاً .

- هراء هراء تام . كيف يستطيع الانسان ان يرى بوضوح أشياء كانت  
غامضة بعد مرور أعوام كثيرة ؟

فأيد بريستو رأي ساترويت بقوله :

- إني أدرك ما تعنيه . . ويمكنني القول انك على حق ، فالمسألة تتعلق  
بما نسميه التوازن . أو حسن التقدير إذا أردت ، أو التناسب والنسبية  
وما إلى هذا .

فقال الكلونيل وهو يتلفت حوله بعنف

- إذا سألتني عن رأيي ، فأنا لا أؤمن بهذه النظريات الغامضة ولا بما يقال  
عن تحضير الأرواح أو ظهور الأشباح . .  
والمهم ان ما حدث كان انتحاراً ، لقد شاهدت الحادث بنفسي ، على  
وجه التقريب .

فقال ساترويت :

- حدثنا به إذن حتى نراه بهينيك .

فغمغم الكلونيل بكلمات غامضة . ثم اعتدل في مقعده ، وابتدأ  
الحديث قائلاً :

- كان الحادث كله شاذاً غير متوقع . فقد كان شارنلي في حالته  
العادية ، وكانت الحفلة تضم عدداً كبيراً من المدعوين ولم يكن أحد يتوقع

أبدأ أن يمضي اللورد الشاب ويطلق الرصاص على نفسه أثناء توافد المدعوين على القصر .

فقال سائقو ريت :

- كان من حسن الذوق على الأقل أن ينتظر انصراف المدعوين من الحفلة ثم ينتحر إذا أراد !

- طبعاً ! إن من فساد الذوق ، أن يفعل إنسان شيئاً كهذا ، أيضاً كانت الظروف .

- لم يكن اللورد شارنلي معروفاً بفساد الذوق ؟

- نعم ، بل كان على النقيض ، كان رجلاً سليم الذوق مهذب السلوك إلى أبعد حد .

- ومع ذلك فأنت لا تزال مصرّاً على أن الحادث انتحار ؟

- طبعاً ، طبعاً ! لقد كنا ثلاثة أو أربعة على رأس السلم داخل القصر أنا والآنسة استراندار والجي دارسي ، وواحد أو اثنان آخرون . واجتاز شارنلي الردهة الواقعة تحتنا في طريقه إلى « قاعة السنديان » .

وتقول الآنسة استراندر أن وجهه كان شاحباً مكتئباً ، وأن اليأس كان يطل من عينيه ، لكن هذا كله لغو فارغ ، لأنه لم يكن في مقدور أحدها أن يرى وجهه من مكاننا المرتفع

وكل ما في الأمر أنه كان يسير حقاً نحو القاعة ، كأنما يحمل على عاتقه هموم الدنيا .

ونادت عليه فتاة من المدعوات ، وهي وصيفة سيّدة من سيدات المجتمع ، وكانت الليدي شارنلي قد دعته مع سيدتها بدافع من العطف ، وكانت هذه الفتاة تبحث عنه لتبلغه رسالة شفوية ، فلما رأته في الطريق إلى « قاعة السنديان » نادت عليه قائلة :

« لورد شارنلي . إن الليدي شارنلي تريد أن تعلم . »

لكنه لم يحفل بها ، ودخل الغرفة وصفق الباب وراءه . وسمعنا صرير  
المفتاح ودو يغلق الباب على نفسه من الداخل ، ثم اذا نحن بعد لحظة نسمع  
دوي الطلقة النارية

واندفعنا الى الردهة وكان ثمة باب آخر للقاعة السنديان ، يؤدي الى  
الشرفة الكبيرة . ولكننا وجدنا هذا الباب مغلقاً من الداخل ؛ فاضطررنا  
الى تحطيمه

وهناك على أرض القاعة وجدنا اللورد شارنلي جثة هامدة والمسدس  
بالقرب من يده اليمنى . فكيف يمكن ان يكون الحادث غير الانتحار ؟ ان  
هناك احتمالاً آخر فقط وهو جريمة القتل ! لكن هل هناك جريمة قتل  
بغير قاتل ؟

فقال ساترويت .

- ربما هرب القاتل ؟

- هذا هو المستحيل ، لأن قاعة السنديان ليس لها غير بابين فقط ، باب  
يؤدي الى الردهة ، وهو الذي دخل منه اللورد شارنلي وأغلقه من الداخل على  
مسمع منا . وباب يؤدي الى الشرفة الكبيرة ، وقد وجدناه مغلقاً أيضاً من  
الداخل بالرجاج والمفتاح .

- والنافذة ؟

- كانت مغلقة تماماً من الداخل أيضاً

وبعد برهة من الصمت قال الكلونيل :

- هذه هي المسألة كلها !

فقال ساترويت :

- إنها كذلك كما تبدو للجميع ، لكن . .

وعاد الكلونيل يقول

وبمناسبة الحديث عن الأشباح ، يمكنني ان أقول ان الشائعات قدور

حول قاعة السنديان هذه ، ويقال انها مسكونة بالأشباح ، وإن على جدرانها  
الحشبية كثيراً من الثقوب الناشئة من رصاص المبارزات ، وإن كثيراً من  
المبارزين ماتوا فيها ، وإن دماء بعضهم تآبى ان تزول من الأرضية رغم تغيير  
الأخشاب بغيرها . ولا ريب ان هناك الآن بقعة دماء أخرى ، هي دماء  
المسكين شارنلي

فقال ساترويت .

— هل نزلت منه دماء كثيرة ؟

— لا قليلة ، وقد عجب الطبيب لهذا !

— وأين أطلق الرصاص على نفسه ؟ على رأسه ؟

— لا بل على قلبه .

فقال بريستو :

— ليست هذه هي الطريقة السهلة للانتحار ، لأن إطلاق الرصاص على  
القلب يسبب آلاماً قوية ، وقد يجعل المنتحر يتعذب قبل ان يلفظ  
أنفاسه ، وذلك بعكس إطلاق الرصاص على الرأس الذي يؤدي إلى الموت  
في الحال .

فقال ساترويت :

— بمناسبة ما يقال عن أشباح القصر ، هل رأيت يا كلونيل ما يؤكد  
هذه الشائعات ؟

فقال الكلونيل بلمحة التأكيد .

— لا . لكنني اظن ان جميع خدم القصر يؤكدون أنهم رأوا شبح السيدة  
ذات الوعاء الفضي .

ثم أردف قائلاً :

— وأنا أرجو الآن ، يا ساترويت ، أن تكون قد تأكدت أن  
الأمر انتحار .

نعم ، نعم . ولكن هذا لا يمنع الانسان من التفكير في شذوذ هذا التصرف .

فلماذا مثلاً ، ينتحز شباب موفور الثراء رفيع المقام ، حديث العهد بالزواج ، وفي نفس الليلة التي يحتفل فيها بعودته مع عروسه إلى قصره بعد شهر العسل ؟

فقطب جبينه وقابض قائلاً :

ولكنه مع هذا مات او انتحز ، وتلك هي الحقيقة التي لا نفر من الاعتراف بها .

وقال الكلونيل :

- لقد ترددت شائعات كثيرة .. كل أنواع الشائعات طبعاً .

- لكن الحقيقة لم يعرفها أحد بعد !

- نعم .

- والأعجب من هذا ، ان أحداً لم يستفد ، من وقوع هذا الحادث !

- نعم . فيما عدا الجنين ، الذي كانت تحمله العروس ، وهي لا تدري .

ثم أرسل ضحكة تهكية وقابض قائلاً :

- والواقع ان مولد هذا الطفل جاء ضربة قاضية لآمال المسكين هيجو

شارنلي أخ اللورد المتوفي

فبمجرد ان ثبت ان عروس اللورد حامل ، راح ينتظر ثمانية شهور ليرى هل سيأتي المولود ذكراً أم أنثى ؟ فلو انه جاء أنثى لورث هيجو لقب أخيه وثروته كلها ، لكن شاء القدر ان يأتي المولود ذكراً وأن تضيق آمال هيجو ومن معه .

- وماذا كان موقف الأرملة الشابة ؟

- يا المسكينة ! إني لم أنس منظرها . إنها لم تبك أو تنهار ، وإنما  
بدت كأنها تجمدت وأصبحت كتمثال بلا روح وقد أغلقت أبواب القصر  
بعد المأساة ، كما عرف الجميع ، وأكبر الظن أنها لن تعود للحياة في  
جوانبه يوماً !

فابتسم بريستو قائلاً :

- لا ريب أن وراء هذه المأساة امرأة في حياة اللورد شارنلي ، أو رجلاً  
في حياة أرملته

فقال ساترويت :

- هذا ما يبدو .

وقال الكلونيل :

- لكن المرجح جداً إنها امرأة في حياة اللورد ، لأن الأرملة لم  
تتزوج بعده .

وهنا قال بريستو بحماس :

- أيا كان الأمر ، فلإني أكره النساء بوجه عام ، إنهن السبب في كل  
مأساة من هذا النوع ، وأعترف أني لم ألتق في حياتي بأمرأة أثارت خيالي  
وأسرت عواطفني إلا مرة واحدة ، وقد التقيت بها صدفة في المطار أثناء عودتي  
من رحلة في شمال إنجلترا .

فقال ساترويت :

- نعم ، نعم .. إن أكثر قصص الغرام بدأت بمثل هذا اللقاء في  
القطارات .

- جلسنا في مقصورة واحدة بمفردنا ، وبدأنا نتحدث معاً منذ اللحظة  
الأولى ، وأعتقد أن شيئاً من العواطف المتبادلة ربطت بيننا منذ اللحظة  
الأولى أيضاً ، وأنا لا أعلم اسمها ، بل لا أظن أني سألتقي بها ،  
مرة أخرى .



راعتقد ، ان الشيء الذي أثار عواطفني نحوها ، ذلك الطابع الروحي  
العجيب الذي كان يغلفها ، لقد بدت لي كأنها امرأة خرجت من صفحات  
إحدى الأساطير .

وأول ما سأترويت برأسه وهو يدرك ان فنانا مثل بريستو لا بد أن يتأثر  
بامرأة من هذا النوع .

أما بريستو فقد تابع قائلاً :

- ويبدو لي ان السر في هذه الشفافية التي تميزت بها انها أصيبت في  
مستهل حياتها بصدمة رهيبية جعلتها تحاول الفرار من دنيا الواقع إلى  
عالم الخيال

- هل ذكرت لك شيئاً من مأساتها ؟

.. لا ، ولكنني استنتجت هذا ، فإن على الانسان ان يلجأ الى الاستنتاج  
أحياناً لكي يصل إلى الحقيقة إذا أراد .

فقال ساترويت ببطء وبلهجة لها دلالتها .

- نعم ان على الإنسان أن يلجأ إلى الاستنتاج أحياناً .

وفي تلك اللحظة فتح الخادم الباب وقال له :

- إن سيدة تريد مقابلتك ، يا سيدي ، لأمر هام . إنها المس

اسبيسيا جلين

فنهض ساترويت بسرعة مندهشاً . لقد كان يعلم من هي اسبيسيا جلين .  
إنها ممثلة مشهورة في أنحاء لندون ، وقد أطلق عليها النقاد اسم « السيدة  
ذات المندبل » لأنها برعت في تمثيل أدوار كثيرة بمندبل واحد ، إذ جعلته  
مرة غطاء للرأس في دور ريفية ، ومرة « كاب » راهبة ، وثالثة  
« كاب » ممرضة ، ورابعة مطرف بائنة لبن .. وعشرات أخرى من  
هذه الأدوار

لكنه لم يكن يعرفها شخصياً ، ففاذا تود ان تقابله ؟

ومضى اليها حيث كانت جالسة في غرفة الاستقبال في وضع مثير ينم عن كثرة اعتدادها بنفسها وقوة ثققتها في جمالها ، وعمق تأثير شخصيتها في الغير .

كانت طويلة القامة خمرية اللون في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها ولكن جمالها المذهل جعلها تبدو أصغر من هذه السن .

قالت له بصوتها الجذاب

إني اعتذر لك عن هذه الزيارة المفاجئة يا مستر ساترويت ، ولولا ان الأمر لا يحتمل التأخير لطلبت تحديد موعد من قبل .

ثم أردفت قائلة :

الحقيقة اني كنت أريد ان أتعرف بك منذ مدة طويلة ، ومن ثم فلاني مبتهجة بهذه الظروف التي دفعتني للحضور .

والواقع اني إذا أردت شيئاً ، فلاني أحب الحصول عليه فوراً ، لأنني لا أطيق الانتظار .

فقال ساترويت :

- أياً كان السبب الذي دفعك الى الحضور .. فلاني سعيد به يا مس جلين ، واني أنتهز هذه الفرصة لأعرب لك ؛ عن إعجابي الشديد ؛ بمواهبك ..

فنظرت اليه باسمه وقالت بعد ان شكرته :

- اما عن سبب حضوري فهو لوحة « موت المهرج » . لقد رأيتهما اليوم في معرض هاركستر . ولما اردت شرائها بأي ثمن فقال لي المدير انك سبقتني الى شرائها ..

ثم توقفت برهة عن الحديث قبل ان تتابع كلامها :

- والواقع اني اريد هذه اللوحة .. وبأي ثمن يا مستر ساترويت .. وقد احضرت معي دفتر الشيكات .. وسوف اترك لك تحديداً الثمن

الذي تريده .

ونظر ساترويت برهة الى الممثلة وهو يشعر في قرارة نفسه بنفور عظيم من أساليبها المكشوفة للحصول على ما تريد .  
إنها لم تعد في نظره امرأة جميلة او ممثلة موهوبة ، وإنما مخلوقة أنانية مصممة على ان تظفر بكل ما تهفو اليه نفسها .

ولهذا قرر ألا يتنازل لها عن هذه اللوحة ، بأي ثمن أيضاً .. وراح يفكر بسرعة في أنسب عذر يقدمه اليها ، وهو يرفض تحقيق رجائها .. فقال :

- إني واثق انه لا يوجد الانسان الذي يرفض ان يحقق لك رجاء ، أيا كان يا مس اسبيسيا جلين ..  
- إذن فستعطيني اللوحة ؟

فمز ساترويت رأسه وقال بحزن مصطنع .  
- يؤسفني القول ان ذلك مستحيل ، لاني اشتريت هذه اللوحة لكي أهدىها لسيدة ..  
- أوه ، ولكن .. بالتأكيد يمكنك ..

وهنا صاصل جرس التليفون بعنف ، فتناول ساترويت المسماع ، وإذا سيدة تقول له :-

- هل أستطيع التحدث مع المستر ساترويت ؟

- نعم يا سيدتي ، انني هو .

- إني الليدي شارنلي .. اليس شارنلي ، ولست أدري هل تتذكرني يا مستر ساترويت بعد كل هذه السنوات

- أوه ! كيف يمكن ان أنساك ، يا عزيزتي اليس ؟ . هل هذا

معقول ؟

- شكراً يا مستر ساترويت ، الآن أريد ان أتحديث معك بشأن

لوحة « موت المهرج » التي ابتعتها اليوم من معرض هاركستر . إني في حاجة إلى هذه اللوحة يا مستر ساترويت لأسباب خاصة ، فهل أطمع في ان تتنازل لي عنها ؟

ورأى ساترويت انه تلقى نجدة من السماء في الوقت المناسب ، وكان يعلم ان اسبيسيا جلين تسمع حديثه طبعاً ، ولكنها لا تسمع حديث الطرف الآخر .

ومن ثم قال مطمئناً ،

— يسعدني جداً ان تقبلها كهدية ، ولكنني أرجو فقط أن تأتي إلى منزلي الآن ..

فهل أطمع أن تحققي لي هذا الرجاء ؟

— أوه ، طبعاً ! إن هذا أقل ما يجب إزاء كرمك . لسوف آتي فوراً .

ولما وضع المساع ، قالت اسبيسيا جلين بغضب :

— أكان هذا الحديث عن اللوحة ؟

— نعم ولسوف تأتي السيدة بعد لحظات قصيرة .

فأشرق وجه الممثلة وقالت بغتة :

— لا ريب انك طلبت حضورها فوراً لتتيح لي فرصة إقناعها بالتنازل

عنها لي

— نعم يمكنك أن تمنعها إذا أردت ، والآن ، هل تسمحين بالانتقال

معي إلى الغرفة الأولى ، فإن لدي بعض الأصدقاء ، الذين أحب أن أقدمك اليهم ؟

وفتح لها باب غرفة التدخين ..

ثم قال وهو يقدمها :

— المس جلين . دعيني أقدم لك صديقي القديم الكلونيل . ونكتون

وصديقي الجديد الفنان بريستو  
ثم توقف عن الحديث فجأة حين رأى المستر كوين جالساً في المقعد الذي  
كان يحتجزه خالياً .

ثم إذا هو يبتسم ويستطرد قائلاً :  
... وصديقي المستر هارلي .. كوين .

وقال مستر كوين :

... لقد قدمت نفسي ، لهذين السيدين ، أثناء غيابك عن الغرفة ،  
ياساترويت .

وكان ساترويت قد لاحظ ان المس اسبيسيا جلين قد شفت وتراجعت  
خطوة عندما نطق باسم صديقه المستر كوين .  
ولكنها لم تلبث ان تمالك نفسها بعد لحظات ، ثم التفتت إلى الفنان  
بريستو وقالت له .

... ما الذي جعلك ترسم هذه الصورة بالذات ؟  
فهرز بريستو كتفيه .

ثم قال وهو يختلس النظر إلى مستر كوين :

... إني لا أدري على وجه التحديد . إنه قصر مشير للخيال ، كما أن  
الشائعات كثيرة عن أشباحه وغرفته المسكونة ، وعلى كل حال أذكر  
أن صديقاً أرحى إلي برسم هذه الصورة بعهد ان حدثني بأساة اللورد  
شارنلي ..

وفي تلك اللحظة ، فتح الخادم الباب ، وأعلن وصول الليدي  
شارنلي .

فأسرع ساترويت لاستقبالها . وكانت قد بلغت الثلاثين من عمرها أو  
أكثر قليلاً ، وقد تذكرها وهي فتاة في مبة الصبا ، ممتلئة حياة وابتساماً  
وقد أصبحت الآن كالطيف الذي يتحرك في خفة وروحانية مع الاحتفاظ

بكل مقومات جمالها .

فقال لها ساترويت :

- شكراً لحضورك يا ليدي شارنلي .

- ثم سار معها في الغرفة . وبدأ عليها انها تعرف الممثلة المس جلين ،  
فهمت بأن تقدم يدها اليها ، لكن الممثلة ظلت جامدة في مكانها ، فقالت  
الليدي شارنلي معذرة .

- أوه إني آسفة ، فقد خطري إني رأيتك من قبل .

فقال ساترويت :

.. ربما على خشبة المسرح .. فمذه مس اسبيسيا جلين .

وهنا قالت مس جلين بصوت أدهش ساترويت لما فيه من تلوين مسرحي  
عجيب .

- إني سعيدة جداً بلقائك يا ليدي شارنلي .

ولما قدم بريستو اليها قالت وهي تبسم :

- لقد التقيت بالمستر بريستو مرة .. في القطار .

وبعد ان عرفها بالمستر كوين الذي قالت عنه انها تذكر ان زوجها  
الراحل قد ذكر اسمه مرة او مرتين أثناء حديثه مع أصدقائه ، جلس  
المستر ساترويت وتنحنج ، ثم قال ، وهو ينظر الى المستر كوين بين  
لحظة وأخرى :

- إننا الآن نجتمع ، على غير اتفاق سابق ، بسبب لوحة  
« موت المهرج » ، وأعتقد ان في مقدورنا الآن ان نعرف الحقائق التي  
كانت غامضة .

فقال الكلونيل :

- ما هذا يا مستر ساترويت ؟ هل تنوي ان تعقد جلسة تحضير  
أرواح ؟

- لا ، لكن صديقي مستر كوين يعتقد ، وأنا اتفق معه على اننا نستطيع  
بإعادة النظر إلى أحداث الماضي ان نعلم الحقائق كما هي ، لا كما كانت تبدو  
في حينها .

فقلت للميدي شارنلي :

- الماضي ؟

- اني أعني مأساة زوجك ، يا اليس .. وأعلم ان هذا الحديث قد  
بؤلك .

- لا انه لا يؤلمني ، فلم يعد ثمة ما يؤلمني الآن !

فنظر ساترويت برهة إلى الميدي شارنلي ، وقد بدت في رقة الطيف  
أو الشبح !

ثم قال بغتة :

- إذك ، يا عزيزتي ، تذكريني « بالسيدة ذات الوعاء الفضي » التي  
يقال .

طق ! وسقط فنجان القهوة من يد الممثلة اسبيسيا جلين على الأرض  
متحطماً ، بينما تابع ساترويت كلامه :

- نحن نقتررب .. نقتررب جداً ، لكن من أي شيء ؟ لقد قتل اللورد نفسه  
فلماذا ؟ إن أحداً لا يعلم ؟

فتململت الميدي شارنلي في مقعدها .. ثم إذا بالفنان بريستو ، يقول  
فجأة :

- إن الميدي شارنلي تعلم السبب .

فنظرت الميدي طويلاً إلى الفنان ، فأوما لها برأسه كأنما يشجعها على  
الحديث ، وأخيراً قالت بهدوء :

- نعم ، انني أعلم السبب .. وهذا ما يجعلني أرفض العودة للاقامة  
في القصر .

- هل يمكن ان تخبرينا به ؟  
- نعم .. لقد عرفت السبب حين عثرت على خطاب بين أوراقه  
وقد أحرقته .

- وماذا قرأت في هذا الخطاب ؟

- كان خطاباً من فتاة فقيرة ، كانت تعمل مربية أطفال عند أسرة  
ميريام . وقد فهمت انه كان بينها وبينه علاقة حب انتهت بأن حملت  
منه ، وقد ظلت هذه العلاقة قائمة بينهما حتى أثناء خطبتي له . وقالت في  
الخطاب انها ستخبرني أنا بالحقيقة قبل ان ترفع الأمر الى القضاء ، ولهذا  
أسرع وقتل نفسه .

وهنا قال الكلونيل مونكتون :

- إذن فقد وضع الأمر وعلم السبب الحقيقي لانتحاره ا

وهنا قال ساترويت :

- ولكننا لم نعلم السبب الذي من أجله رسم مستر بريستو الصورة .  
لكن يمكن ان نستنتج انه ، بخجله وروحانيته ، استطاع ان يرمز للمأساة  
بالجسد الملقى في الشرفة الكبيرة ، وبالروح التي تراقب الجسد من وراء النافذة  
المظلة عليها .

فقال الكلونيل :

- ولكن الجسد لم يكن في الشرفة ، وإنما كان في قاعة السنديان ،  
كما رأينا .

- ربما كان الجسد في الشرفة أولاً ، ثم حمله شخص ما إلى قاعة  
السنديان !

فبدت الدهشة على الكلونيل وقال

- إذن كيف رأينا بأعيننا اللورد شارنلي ، وهو يدخل غرفة السنديان  
سائراً ؟



— حسناً ؟ هل رأيت وجهه ؟ هل انت واثق انه اللورد حقاً ؟ ما المانع من ان يكون الذي دخل غرفة السنديان رجلاً آخر يرتدي نفس العباءة التي كان يرتديها اللورد في الحفلة التنكرية ؟ ربما أكد ليكم انه هو اللورد ، نداء الفتاة عليه لتبلغه رسالة كلامية !

فقال الكلونيل متهمكاً

— وإذا كان الذي دخل قاعة السنديان رجل آخر ، غير اللورد ، فأين ذهب او اختفى .. وقد كانت الغرفة مغلقة الأبواب والنوافذ من الداخل ؟

— ألم تقل ان بها مخبأ سرياً في الجدار ؟

ثم رفع يده ليمنع الكلونيل من مقاطعته وقابض كلامه :

— لقد أصبح الأمر واضحاً الآن . فلنفرض ان رجلاً ما قتل اللورد في الشرفة الكبيرة . ثم تعاون مع رجل آخر وسحب الجثة الى قاعة السنديان حيث وضع المسدس بجانب اليد اليمنى .

وليكي يبدو الأمر انتحاراً دخل ذلك الشخص الى قاعة السنديان عن طريق الردهة وهو في ثياب اللورد شارنلي حتى يظن من يراه انه اللورد .

وكان قد اتفق مع شخصية ما لكي تنادي عليه باسم اللورد شارنلي حتى تجعل الذين يرونه من أعلى يتأكدون انه هو فعلاً اللورد شارنلي . وبعد ان دخل وأغلق الباب من الداخل بالمفتاح .. أطلق رصاصة على الجدار .

وبطبيعة الحال لم يلاحظ احد الثقب الذي أحدثه بجانب الثقوب الجملة الموجودة ثم اختبأ في الخبأ السري . وكان طبيعياً ؛ بعد ذلك ان يظن الجميع ان اللورد انتحر لانه لم يكن هناك ما يدعو الى الشك في أي احتمال آخر

وقال الكولونيل :

- انني لا زلت أؤمن بأنه انتحرف فعلا .. والدليل على ذلك هو الخطاب الذي عثرت عليه الليدي شارنلي في أوراقه .. بعد ذلك .

- إن هذا الخطاب مرسوم بين أوراقه عن قصد ، وقد كتبته بمثلة صغيرة بارعة ، كانت تأمل ربما ان تكون هي الليدي شارنلي بعد موت اللورد ا

- ما تعني؟

- إنني أعني الفتاة التي اشتركت مع القاتل في تدبير الجريمة ، والقاتل ليس غير هيجو أخ اللورد ريجي شارنلي . وكلنا نعرف ان هيجو كان العضو الفاسد في عائلة شارنلي . وكان يأمل ان يرث اللقب والأموال ، بعد مقتل أخيه وقد أثرك معه ، في تدبير الجريمة وتنفيذ الخطة ، عشيقته له ا

ثم استدار ساترويت نحو الليدي شارنلي وقال :

- ما اسم الفتاة التي كتبت ذلك الخطاب ؟

- مونيكا فورد .

وهنا قال ساترويت للكولونيل

- هل كانت مونيكا فورد هي التي نادى على اللورد حين ذهابه إلى قاعة

السنديان يا كولونيل ؟

- نعم إنني أذكر هذا على وجه اليقين ا

لكن الليدي شارنلي اعترضت قائلة :

- إن هذا مستحيل .. لقد قابلت مونيكا فورد بعد عشوري على

الخطاب ، وأكدت لي ان علاقتها بريجي شارنلي ، كانت حقيقية ، وليس من المعقول ان تبلغ فتاة مثلها ، هذه الدرجة من البراعة في

التمثيل !

وعندئذ نظر ساترويت إلى الممثلة اسبيسيا جلين وقال يهدوء :

- أعتقد ان ذلك كان في مقدورها . لأنها ولدت ممثلة ،  
بطبيعتها .  
فقال بريستو :

- ولكن ، هناك نقطة واحدة لا تزال غامضة . إذ كيف استطاع  
القاتل ان يزيل الدماء بسرعة من أرض الشرفة ، التي حدثت فيها  
الجريمة ؟

فابتسم ساترويت وقال :

- إنه لم يكن هناك الوقت الكافي لإزالة الدماء طبعاً ، ولهذا نقل  
السجادة من قاعة السنديان ، ووضعها فوق بقع الدماء في الشرفة . وهذه  
العملية لا تستغرق أكثر من دقيقة .

- هذا معقول جداً ، لكن كان لا بد من إزالة آثار الدماء بعد ذلك  
على كل حال .

- طبعاً ، طبعاً إن شريكة القاتل ، إنتهزت فرصة الشائنة  
التي تدور حول شبح السيدة ذات الوعاء الفضي ، فتسللت ليلاً في ملابس  
بيضاء وهي تحمل وعاء فضياً به ماء لتزيل آثار الدماء . وكانت مطمئنة إلى ان  
الذي قد يراها سيفر هارباً منها .

ثم ابتسم ساترويت وتابع يقول للمس جلين :

- أعتقد ان هذا هو سبب سقوط فنجان القهوة منك حين ذكرنا شبح  
السيدة ذات الوعاء الفضي . اليس كذلك ؟

وأعتقد ، انك أحسست بالخوف حين رأيت صورة « موت المهرج »  
وقد خطر لك أن شخصاً ما قد رآك مع القاتل ، أثناء ارتكاب  
الجريمة .

وهنا صاحبت الليدي شارنلي ، وهي تحديق النظر ، في وجهه  
الممثلة :

- انك أنت مونيكا فورد اليس كذلك ؟

فوثبت مونيكا فورد .. أو اسبيسيا جلين . ودفعت ساترويت  
بعيداً عنها .

ثم وقفت أمام مستر كوين ترتعد وتقول .

- كنت أنا على حق إذن ، حين شعرت يومذاك ، أن هناك من يراقبنا .  
لقد كنت أنت هناك ، ترانا من وراء النافذة المظلمة على الشرفة . لقد رأيت  
ما فعلنا ، أنا وهيجو .

ولما رفعت وجهي إلى النافذة ، خيل إليّ إنني رأيت لمحة من وجهه  
إنسان يراقبنا ثم يختفي ، وهذا ما جعلني أعيش في رعب طيلة هذه  
السنوات ..

ولما رأيت الصورة وأنت فيها واقف وراء النافذة تعرفت عليك . ولكن  
ما اندي جعلك تلزم الصمت كل هذه الأعوام ؟  
فقال كوين بهدوء :

- ربما كي يستريح الموتى في قبورهم .

وفجأة ، إندفعت مس اسبيسيا جلين نحو الباب وفتحته ، ثم قالت  
في تحد :

- إفعلوا بي ما شئتم ، فقد أحببت هيجو حب جنون ، وساعدته على  
تنفيذ خطته التي لم تصل بنا إلى النتيجة المطلوبة

وقد مات هو محسوراً في النهاية .. أما أنا ، فلإني أجيّد التمثيل  
والتمنكر ، كما قال ذلك الرجل المعجوز ، ولن يستطيع رجال البوليس  
في العالم ان يقتفوا أثرني . وسوف أرحل عن البلاد ، في خلال أسبوع ..  
وداعاً .

وصفقت الباب وراءها ، ثم لم يلبث الجميع ان سمعوا باب المنزل الخارجي وهو ينصفق أيضاً .

وهتفت الليدي شارنلي والدموع تنحدر من عينيها :  
- يا زوجي العزيز المظلوم ، لقد عشت حياتي كلها وأنا أحقد عليك بسبب ذلك الخطاب المزيف . أما الآن .. فأرجو أن تنام في قهرك بسلام ، ولسوف أعود إلى القصر ، وأشيع فيه نبضات الحياة من جديد .

ثم نهضت وتقدمت نحو ساترويت وقبلت وجنتيه وهي تقول :  
- شكراً لك يا مستر ساترويت . لقد أعدتني إلى الحياة ثانية بعد أن كنت أعيش نصف ميتة

ثم صافحت الفنان بريستو بحرارة ، وقالت له وهي تبتسم في عينيها .

- دعني أهنئك على عبقريتك وأرجو ان أراك في أقرب وقت تزورني في قصري ، ولعلك تستطيع ان تستلمهم منه لوحات أخرى .

فلما انصرفت قال ساترويت لبريستو :

- ماذا تفتظر ؟

-- أنتظر ماذا ؟

- ألم تشعر انها تبادل لك العاطفة ؟

فاضطرم وجه الفنان الشاب ..

ثم نهض مرتبكاً وهو يقول :

- أترى هذا حقاً ؟

والتهفت ساترويت نحو مستر كوين ليقول له شيئاً ، لكنه وجده قد رحل بغتة ، كما أتى بغتة .  
فهرز كتفيه وقال :

- لا ريب ، انك حدثت المستر كوين بملقائك مع هذه السيدة في  
القطار ، فأوحى لك برسم هذه اللوحة ، وهو يعرف ما سيقرب عليها  
من نتائج  
إنه لا يهمه الحادث نفسه ، بعد ان انتهى .. ولكن يهمه الأحياء  
من العشاق .  
وأرى انه نجح ايضاً هذه المرة في إعادة الحياة الى سيدة لا تزال في رونق  
الشباب ، وإلى بعث خفقات الحب في قلبها لفنان شاب أسرع يا صديقي ،  
والحق بها ، ولن تندم .

## لاعب البوكر

جلس بايرون دوکاي وحيداً أمام المائدة الخضراء ذات الثمانية أضلاع ..  
وإلى يمينه طاولة أخرى صغيرة عليها ثلاثة صفوف من فيشات البوكر  
البيضاء والحمراء والزرقاء ..

وإلى يساره طاولة متحركة حافلة بزجاجات الويسكي والتنيز والكؤوس  
وقناني الصودا وآنية كبيرة مليئة بقوالب الثلج ..

لم يكن بالغرفة رلاً بالشقة كلها أحد سواه . وكان السكون شاملاً  
فلا صوت ولا حركة .. فأخذ بايرون يعبث ببعض أوراق اللعب للتسلية  
وقتل الوقت .

إلى أن سمع باباً يفتح وكان الباب في ركن من الغرفة لا يقع  
عليه بصره .

فقال بصوت هادئ :

- تعال ..

كان ينتظر قدوم أحد لاعبي البوكر ، لكن الرجل الذي ظهر أمامه

بعد لحظة لم يكن أحد اللاعبين .  
كان شاباً قصير القامة نحيل الجسم يرتدي سروالاً ملطخاً بالبقع رقيقاً  
مفتوح الصدر وفي يده خنجر طويل .

لم يحاول بايرون دوكاي النهوض من مقعده . لكنه كف عن العبث  
بأوراق اللعب وسأل :  
.. ماذا تريد ؟

فلم يجب الشاب ، وأجال البصر حول الغرفة في ارتياب . ثم سأل  
بدوره :

— هل انت وحدك هنا ؟

فأرماً دوكاي برأسه علامة الايجاب .  
ولم يكن من الفطنة أن يفعل ذلك .. لأن الشاب ، فقال  
على الفور :

— حسناً .. إذا لم تثر المتاعب فلن يصيبك أذى .

فقال دوكاي وكان صوته هذه المرة أكثر هدوءاً واتزاناً :

— ماذا تريد ؟

فلم يجب الشاب ونظر حول الغرفة ثانية .  
ووقع بصره على زجاجات الخمر فلمعت عيناه وقال :  
سأتناول قدحاً من الشراب .  
.. إجلس وسأقدم لك قدحاً

وبدافع الخدر ، اتخذ الشاب مكانه في الجانب الآخر من الطاولة في مواجهة  
دوكاي ، أي على أبعد مسافة ممكنة منه ، ووضع يده الممسكة بالخنجر  
على الطاولة

فتألق النصل على الغطاء الأخضر كما تتألق الماسة على خلفية من  
القطيفة السوداء



فسأله دوكاي :

- ماذا تشرب ؟ نبيذ أم ويسكي ؟  
وفوجيء الشاب بأن له ان يختار ..

فتردد قليلاً ثم أجاب :

- أريد نبيذاً .. قدحاً من النبيذ ، مزوداً بقليل من قوالب الثلج .

وساد الصمت ثانية ، بينما راح دوكاي يسكب النبيذ في القدح ، ثم دفع بالقدح الى الشاب .

فتناوله هذا ، بيده اليسرى ، ورفعته إلى شفطيه واحتسى منه جرعة كبيرة وقال

- اني أريد نقوداً ومفاتيح سيارتك .. واريد ان أعرف أين تركت سيارتك .. كما اني بحاجة لبعض الثياب .  
فلم يأت دوكاي بحركة لإجابته إلى ما طلب .  
فقال في هدوء :

- يبدو ان هذه عملية سطو غير عادية

فقال الشاب وهو يحتسي جرعة أخرى من الشراب :

- نعم !.. إنها عملية سطو غير عادية .. فتعحرك .. انك سمعت ما قلت .

فقال دوكاي ليغير مجرى الحديث

- من أنت عموماً أي حال ؟

- ليس ذلك مرثأناك

- لا بد انك ربك مسدن .

فارتسمت على شفطي الشاب ابتسامة نتم عن الخيلاء ..

ثم قال .

- يخيل لي انك تتابع أنباء الراديو والتليفزيون  
- أحياناً .

- حسناً .. أنا ريك مسدن ، وقد قتلت شخصين في مشرب في الأسبوع  
الماضي قتلت صديقي وعشيقتها الجديد ، وأعتقلت بعد يومين . ولكنني  
استطعت الفرار أمس .

فقال دو كاي وهو يمد يده الى أحد الأقداح :  
- هل لديك مانع من ان أتناول قدحاً معك ؟

ولكن مسدن ترك قدحه بسرعة ، وصاح وهو يذق الطاولة بيسراه  
في عنف :

- دعك من الشراب الآن .. لقد ذكرت لك مطلبي ، ويجب أن  
تلبيه فوراً .

- انتكلم في ذلك يا مسدن

فقال الشاب والخنجر يهتز في يده .

- إصنع الي يا هذا إما ان تفعل ما أريد . وإما ان أمزقك إرباً  
كما فعلت بالآخرين .

لكن دو كاي لم يحفل وقال بسرعة وبصوت الأمر :

- الزم مكانك يا مسدن .. قبل ان تحاول تمزيقي ، يحسن بك أن تصغي  
الى ما أقول .

فأحس مسدن بما في لهجة محدثه من تحد فجمد في مكانه .. حتى خنجره  
كف عن الاهتزاز ..

قال أخيراً :

- هأنذا مصغ .

- حسناً .. دعنا نحال موقفنا يا مستر مسدن .. اننا نجلس في مكانين

متقابلين أمام الطاولة .. وبيننا حوالي مترين أنت في يدك خنجر وأنا

في الوقت الحاضر أعزل من السلاح ..  
ولكنني كنت أفكر منذ لحظة فيما أستطيع عمله إذا أنت قررت أن  
تلتجأ إلى العنف .

لا شك انني يجب ان أدافع عن نفسي . فهل تعرف كيف سأفعل ذلك ؟  
إذا أنت أتيت بأية حركة للنهوض من مقعدك فإني سأقلب المائدة فوقك ..  
أنا واثق من إني أستطيع ذلك ..

قد تكون أصغر مني سنماً يا مسدن ، لكنك ترى ان حجمي ضعف  
حجمك تقريباً وسيكون الموقف كما يلي في المرحلة الأولى من معركتنا ..  
ستكون أنت ملقى على الأرض والطاولة فوقك .. او تكون ، إذا  
ساعدك الحظ ، ملتصقاً بالجدار ، والطاولة بيني وبينك . هل تفهم  
ما أعني ؟

وأحس الشاب بالقلق والفضول رغم غضبه فأجاب .  
- نعم .

-- تذهب إذن إلى المرحلة الثانية .. هل ترى المكتب الذي خلفي إلى  
اليسار يا مسدن ؟ أظنك تستطيع من مكانك ان ترى الشيء الذي أعنيه  
يا مسدن .. انه خنجر تركي مرصع ، أستخدمه في فض رسائلتي .  
وسيكون أول ما سأفعله بعد ان أقلب المائدة فوقك ، ان أتناول  
الخنجر .

وبذلك نتساوى في السلاح اليس كذلك يا مسدن ؟

فحملق الشاب أمامه ولحق شفته بلسانه ..

لكنه لم يقل شيئاً ..

ومضى دوكاي بحديثه .

فقال بمزيد من الثقة :

هذه هي الخطوة الثانية .. وتستطيع ان تصفها بأنها نهاية الاستعداد

للمعركة ..  
تأتي بعد ذلك الخطوة الثالثة ، وبها تبدأ المعركة ذاتها ، فكيف  
سيكون موقفنا ؟ .

ومرة أخرى لعق الشاب شفته ولم يجب .  
قال دوكاي :  
- دعنا نستعرض أسلحتنا ، يا مسدن . ما نوع الخنجر الذي  
بيدك ؟ .

- إنه خنجر حاد النصل أعطانيه أحد السجناء .  
فقال دوكاي وعلى فمه ابتسامة :  
- إسمح لي ان أقول ، بأنني أتفوق عليك قليلاً ، في موضوع  
السلاح . فإنت خنجري أطول وأمضى .. وأفضل معدناً من  
خنجرك .  
- اصنع إلي يا هذا ..

لكن دوكاي مضى في حديثه قال :  
- هناك ما هو أهم من الأسلحة . هناك أبطال المعركة أنفسهم ، دعنا  
نقوم بمقارنة بسيطة .  
كم عمرك يا مسدن ؟ .  
- تسعة عشر عاماً

أنا في الحادية والثلاثين .. هذه نقطة تفوق يسيرة لصالحك ..  
كم يبلغ وزنك ؟  
- مائة وعشرون رطلاً ..

- إنني أثقل منك بستين رطلاً . وهذه نقطة تفوق لصالحني ..  
والآن .. لننظر إلى مؤهلاتنا  
إنني كنت بطل أميركا في البيسبول منذ عشر أعوام ، ولعبت ظهيراً في

الفريق القومي لكرة القدم .

وأجيد لعب التنس والسباحة ، وأهم من ذلك اني أقرن ساعة كل يوم للاحتفاظ بلياقتي البدنية .. فلم يزد وزني جراماً واحداً منذ غادرت الجامعة . وذلك أمر له أهميته . والآن . ما قيمتك الرياضية يا مسدن ؟

فقر لون الشاب . وحاول ان يقول شيئاً .. فلم يسعه ذهنه ..

قال دو كاي :

دعني أحلك على ضوء ما أرى يا مسدن . إنك تعاني من سوء التغذية بصفة مزمنة . ليس لأنك لم تكن تجد ما تأكله . وإنما لأنك لم تجد من يسهر على تغذيتك ، وهكذا لم تتح لك فرصة لتناول الطعام المناسب ..

هل تعرف أن نحولك غير عادي ؟

أضف الى ذلك العادات السيئة التي تمارسها . أكبر الظن انك تدخن منذ كنت في التاسعة او العاشرة من عمرك . ذلك واضح من البقع التي تصبغ أصابعك .

والله وحده يعلم ماذا تدخن الآن ؟ . لعلك تدخن شيئاً أقوى من التبغ ؟ .

ثم انك تشرب من الخمر أضعاف ما أشرب ..

أنظر إلي يا مسدن ، ثم انظر الى نفسك .. وقل بصراحة اينما أقوى بنية وأصح بدنًا .

فقطب الشاب ما بين حاجبيه ونظر إلى مضيفه بحدة .

قال دو كاي :

— إننا لم نتكلم بعد عن أهم عامل في المعركة وأعني به الشجاعة ،

والرغبة من القتال وركوب الأخطار ..  
انك كنت شجاعاً جداً عندما دخلت هذه الغرفة . كنت شجاعاً  
لأن بيدك خنجرأ . ولأنك ظننت اني أعزل . ولكن ، ما مبلغ  
شجاعتك الآن ؟

إنها أقل مما كانت منذ بضع دقائق فيما أعتقد . انك دخلت هذه  
الغرفة وأنت تتبختر وتهدد بتمزيقي اربأ ..  
أما الآن فهناك احتمال كبير في أن تتمزق انت اربأ . ان موقفك لا يدعو  
الى الارتياح التام كما ترى

- أنت تحاول خديعتي  
- أعتقد ذلك ؟ . ما عليك لكي تتحقق إلا ان تحاول النهوض من  
مقعدك .

وعاد دوکاي الى الحديث ، قال :  
- ثمة مسألة أخرى لا يجب ان أغفلها .. هي مسألة الحافز .. قد لا  
تكون أشجع الرجال ولكن لديك حافز قوي للقتال ..  
انك اذا قتلتي فلن يصيبك ضرر ، وستظفر بنقودي وسيارتي وأي  
شيء آخر تريده .  
أما اذا قتلتك فإنك لن تكون قد خسرت شيئاً أكثر مما كنت ستخسره  
قبل فرارك من السجن .

وهنا لمع في عيني الشاب شيء يشبه الأمل .  
قال بصوت ينم عن الدهاء :  
- ماذا ستربح من قتالك معي أها السيد ؟

فأجاب دوکاي :  
- هذا سؤال وجيه . ان في مقدوري ان أدعك تأخذ ما تريد ..  
وبذلك أزيد متاعب البوليس وأرجيء اعتقالك يوماً أو أسبوعاً .. وقد

يحدوني الأمل في انك قد تذهب من هنا في سلام بعد أن تأخذ ما تريد ..  
دون أن تفعل بي أكثر من ان تشد وثاقي .. ولكنني في الواقع لا أبتطيع ان  
أثق بك الى هذا الحد . لأنك انسان سافل شرير تجدد لذة في ممارسة العنف  
وابذاء الغير .

انك قد تقنع بأن تركلني بقدمك ، ولكنك من جهة اخرى ، قد  
مارست القتل .

ولا اظنك ستتردد في قتلي اذا سنحت لك الفرصة ..

فقطب الشاب حاجبيه ، وارسم الشر في عينيه .

فمضى دوكاي يقول :

- أضف الى ذلك يا ماسدن اني لا أحبك كثيراً .. فأنت مخلوق سافل  
مجرد مخلوق سافل .. يسرني ان ألحق بك اعظم ضرر ممكن ، حتى ولو  
كلفني ذلك حياتي .

فتحرك مسدن في مقعده بقلق ولكنه لم يحاول النهوض .. واهتز الحنجرجر  
في يده مرة أخرى .

قال :

- اذن فسنتقاتل بالخناجر أيها السيد ؟

- ذلك ما سيحدث حتماً اذا حاولت النهوض من مقعدك .

فأفرغ مسدن محتويات القدرح في جوفه وقال .

- حسناً .. ابدأ اذاً أيها السيد ..

- لم أقل لك اني سأبدأ شيئاً .. انا قلت لك ماذا أنوي عمله اذا  
انت بدأت .

\* \* \*

وكان الصمت في هذه المرة طويلاً وعميقاً .  
كان كل من الرجلين يواجه الآخر . .  
كانت ايديهما على المائدة . . مع فارق واحد . هو ان ماسدن كان  
ممسكاً بالخنجر في يمينه .  
وانتقلت عيننا مسدن ، من وجهه الذي كان في المكتب . . الى الخنجر  
التركي . .

Digitized by Google  
The University of the Alexandria Library  
P. 111

ثم ارتدتا بسرعة .

قال :

— لماذا لا تعطيني ما أطلب ؟ . بضعة دولارات وبعض الثياب ومفاتيح  
السيارة ؟ . ان اموالك مؤمن عليها طبعاً فأنت ان تخسر شيئاً . . لماذا لا  
تعطيني ما اطلب ؟ .  
— ذلك لن يكون .

فمض الشاب على شفته وقال

— ماذا سيحدث اذن ايها السيد ؟ . هل سنظل جالسين هكذا ؟ .  
قلت انني اذا اتيت بحركة فإنك ستقلب الطاولة علي وتختطف الخنجر  
وتبدأ المعركة . .  
فنحن بين امرين . .  
اما ان نقاتل . . او نظل جالسين . . اليس كذلك ؟ . في حين اني يجب  
ان اذهب . .

وفجأة . . ومض في ذهنه خاطر ، وهم بالنهوض . . ولكنه عدل عن  
ذلك على الفور .  
وصاح :

— فهمت . . انك تنتظر قدوم بعض اصدقائك للعب الورق ، وتحاول  
ان تستبقيني هنا الى ان يحضروا .



فظل دوكاي على هدوئه .

ثم قال

- إنني لعب لعبة بارعة ، اليس كذلك يا مسدن ؟. نعم ، إنني أتوقع  
قدومهم في أية لحظة  
- لكنك لن تمضي بغير عقاب .

- ما زال في استطاعتك ان تختار .. في مقدورك ان تنمض من  
مقدمك فأقلب الطاولة عليك واختطف خنجري . وبذلك تنهيا لك الفرصة  
لتجرب حفظك .

فصاح الشاب وهو يرتجف :

- لكنني لن أستطيع البقاء هنا إلى الأبد .  
فقل دوكاي :

- يوجد حل آخر بطبيعة الحال يا مسدن .

فهتف الشاب وقد تألق الأمل في عينيه .

- ماذا تعني ؟

فرد دوكاي :

- إذا تقابلنا فإنني سأعرض أيضاً للخطر .. وأنا لا أحب المخاطرة  
لذاتها .. ولذلك فإنني على استعداد لمساومتك : سلامتي في مقابل  
هروبك !.

أعني هروبك صفر اليدين !.

- استمر .. إنني مصنع اليك

وتابع دوكاي :

- إنني أشعر بالخطر ، طالما هذا الخنجر في يدك لأنك قد تنمض  
فجأة ، فلا أدري هل ستهاجمني ام ستفر ؟.  
إن نهوضك سيجعل المعركة ، أمراً محتوماً ، مهما تكن حقيقة

نواياك ..  
هل فهمت ما أعني ؟  
- أظن انني فهمت  
- إن خنجرك هو مفتاح الموقف . أنت تريد الفرار ، وأنا لا  
أريد القتال .  
وطالما هذا الخنجر في يدك ، فلأنك لن تستطيع حراكاً دون أن  
تقوم بالمركة !  
الحل الوحيد إذن هو أن تلمني بخنجرك على الطاولة .  
- ماذا ؟  
- نعم ، الحل الوحيد . هو ألا يحمل أحد منا سلاحاً .  
- وماذا يكون من أمري ؟ هل نسيت أنك رجل رياضي ؟  
قال دوكاي :  
- إن المائدة بيننا . وأنت أقرب إلى الباب ، ولن يكون في استطاعتي  
اللاحاق بك .  
فقال مسدن :  
- ولكنك قد تتصل بالشرطة تليفونياً .  
فابتسم دوكاي وقال :  
- أنت شاب ذكي يا مسدن . الواقع اني لم أفكر في ذلك ولكنني  
على استعداد لأن أعقد معك صفقة أخرى ..  
تليفوني مقابل خنجرك .  
إن تليفوني هنا على المكتب ، فإذا سمحت لي فلاني سأمد يدي وأنتزع  
التليفون من أسلاكه .  
ومنى فعلت ذلك فمليك أنت ان تلمني بخنجرك على المائدة وتطلقني  
ساقيك للريح .

ففكر مسدن في هذه الصفقة .  
فكر بسرعة وتركيز .. بينما كانت عيناه تصعدان دوكاي وتقيسان  
إتساع كتفيه ، ومدى صلابته .  
وأخيراً قال :

— حسنناً .. إنزع التليفون أولاً وسأظل محتفظاً بخنجرى ، فإذا حاولت  
يدك إلى الخنجر بدلاً من التليفون ..  
فقاطعه دوكاي قائلاً :  
... ما عليك إلا ان تتبعني ببصرك .

وببطء ، ودون ان يحاول عيليه عن غريمه .. مد دوكاي يسه  
اليسرى إلى المكتب ، وأمسك بآلة التليفون وجذبها بقوة .. فانقطعت  
الأسلاك .  
قال :

— هل اطمأئنت الآن ؟  
والقى بالتليفون على الأرض .  
وقابع قائلاً :

— الآن .. الق بخنجرى إلى وسط المائدة ، حيث لا يسهل على أحدهما  
التقاطه .  
والتقت عيونهما .

كان كل منهما لا يزال يراقب في الآخر ، ولا يثق فيه . ومرت لحظة لم  
يبد أحدهما خلاها حراكاً .  
وأخيراً قال دوكاي :  
— هلم يا مسدن . طالما الخنجر في يديك فلن تستطيع الحراك ، من  
هذا المقعد .

وفي صمت ، وعلى كره منه ، القى مسدن بالخنجر ، إلى وسط

الطائرة ..

ثم قال :

- إبقى حيث أنت لأنني سأذهب .

فقال دوكاي :

- يؤسفني ، اني لا أستطيع ان أشد على يدك .. وأتمنى لك حظاً  
سعيداً .

\* \* \*

وفي هذه اللحظة .. سمع الرجلان حركة في الخارج ..  
وتردد مسدن لحظة في تأويل ما سمع .. ثم وثب من مقعده .. وانطلق  
يعدو نحو الباب .

ولم يتحرك دوكاي من مكانه .. ولكنّه أمسك بحافة الطاولة ،  
وصاح بأعلى صوته :

- إقبض على هذا الشاب يا سام .. إنه مجرم .

\* \* \*

وحدثت جلبة خارج الغرفة ، اقترنت بصياح وسباب ..  
ولم يحاول دوكاي مغادرة مقعده ، وقنع بالاصغاء الى ما يحدث  
في الخارج .

واستمرت المعركة خارج الغرفة بضع ثوانٍ أخرى .. انتهت بصوت  
لكمة قوية وسقوط جسم .

وحينئذ فقط اعتدل دوکاي في مقعده ، وتنفس الصعداء ، وجفف العرق المتصبب على جبينه .

\* \* \*

وبعد ساعتين ، عاد السکابتن سام وبلیمز الى شقة دوکاي لیشارك في لعب البوکر .

كان قد أمضى هاتین الساعتین في مرکز الشرطة ، حيث أسلم ریک مسدن الى رجال الأمن .  
وأدلى بأقواله عن كيفية اعتقاله .

\* \* \*

نظر السکابتن سام الى دوکاي وهز رأسه وقال :  
-- لا أحسبني سأجرؤ على لعب البوکر معک ، مرة أخرى ،  
یا دوکاي .. لم يخطر ببالي ، قط ، ان لك كل هذه القدرة على  
الخداع ..  
قال دوکاي :

-- هذا اطراء لا أستحقه .. الواقع انني كنت حسن الحظ فحسب ..  
قبل ان تذهب زوجتي لزيارة أختها ، رجوتها ان تساعدني على الانتقال  
من الكرسي المتحرك الى هذا المقعد أمام الطاولة ..  
لاني أفضل في بعض الأحيان ان أستقبلکم وأنا جالس في مقعدي .. ان  
ذلك يشعرني بأنني لست كسبيعاً تماماً ..

ولو قد رأي مسدن جالساً في الكرسي المتحرك ، لما استطعت خداعه لحظة واحدة .

فأطرق سام برأسه موافقاً ..

ثم أرسل بصره عبر الباب الى غرفة النوم ، حيث كان الكرسي المتحرك يتألق تحت المصباح الكهربائي .

لا ريب ان ريك مسدن لم ير هذا المقعد ، او لعله رآه ، فلم يفتن الى علاقته بالرجل الجالس أمام طاولة البوكر .

## العين الفاضحة

الحظ يواتي صاحب العقل المنظم .

هذه هي العبارة التي قالها ( باستير ) ، وقرر الدكتور كويلر ان يثبت صدقها على مستوى ثمانين ألفاً من الدولارات ، هي قيمة الغنيمة التي ظفرها لص سطا على أحد بنوك الحي منذ ثلاثة شهور على مرأى من الدكتور كويلر .

وكان كويلر قد انهى لتوه فترة التدريب بمستشفى ( ويلوبي ) وكان هو الوحيد بين شهود الحادث الذي تؤهله خبرته وتجاربه للتعرف على اللص المقنع .

والواقع ، ان قليلين جداً من الناس ، يعرفون كيف يستخدمون عيونهم ..

ومن بين هذه القلة او في مقدمتهم الأطباء .

ذلك ان اية علامة او ندبة او تغيير في اللون ، له عند الأطباء مغزى ودلالة ..

وهم لذلك يروضون أنفسهم على الملاحظة بدقة وتركيز قلما يتوفران  
لغيرهم من الناس .

ولم يكن أي عمل جانبي ، حتى ولو كان جريمة قتل ، ليصرف الدكتور  
كويلر عن ملاحظة العمل الرئيسي ..

فعندما استولى الذعر على إحدى عمليات البنك فأرسلت أولى صرخاتها  
المستيرية .. اهوى اللص المقنع على رأسها بمقبض مسدسه ، وأدرك الدكتور  
كويلر .. حتى قبل ان يمس بمقبض المسدس الرأس ، ان جمجمة المرأة  
ستتشم ..

ولكنه مع ذلك ركز على ملاحظة الرجل دون الحادث .  
فعل ذلك في هدوء ورباطة جأش ، دون ان يلفت اليه نظر اللص  
المقنع .

كان القناع يخفي وجه اللص فيما عدا عينيه ، وقد لاحظ كويلر ثقلاً بسيطاً  
في حركة النصف الأيسر من جسد اللص .

وعندما التفت عيونها ، في لحظة سريعة .. لاحظ كويلر ان  
انسان إحدى عيني اللص ، اصغر كثيراً من انسان العين  
الأخرى .

كل هذه العلامات كانت تعني امراً واحداً .. هو ان منح اللص مصاب  
بتلف قوي .

وهذه الملاحظات ، كان يمكن ان تفيّد البوليس كثيراً ، ولكن  
الدكتور كويلر احتفظ بها لنفسه ، دون ان يعرف لذلك سبباً او  
مبرراً ..

بيد انه كان يشعر ، في قرارة نفسه ، بأن الموقف مليء  
بالاحتمالات ..

ومن هذه الاحتمالات ان يموت اللص وحيداً كما سطا على البنك وحيداً



دون ان يفضي الى احد بالمكان الذي اخفى فيه غنيمته .. ومنها انه ، اي الدكتور كويلر ، هو الوحيد الذي يستطيع التعرف عليه . صحيح ان اللص كان مقنعا .. ولكن يكفي ان يرى الدكتور مشيته او ينظر في عيبيه كي يتعرف عليه .

\* \* \*

على ان الطبيب لم يكن بحاجة الى البحث عن ضالته .. فقد اتفق ، بعد نحو ثلاثة شهور ، بينما كان يعمل في مستشفى ( ويلوبي ) كأخصائي في جراحة المخ .. انهم احضروا اليه نفس الرجل كمريض ..

ذلك ان صاحبة البيت الذي يقيم به اللص ، وجدت هذا الأخير مشلولاً في فراشه وقد تعطل نصفه الأيسر عن الحركة ، مما يدل على ان التلف الذي اصاب مخه قد استشرى .

وفي البداية ، لم يكن الدكتور كويلر واثقاً من ان المريض هو اللص ، ذلك لأنه لم يره وهو يسير ..

لكن كانت هناك العين ذات الانسان الصغير ، والعين تكفي لإرشاد الطبيب البارع الى شخصية صاحبها كما لو كانت صورة فوتوغرافية للوجه كاملاً .

وقرر الطبيب ان الرجل لا يمكن ان يكون قد انفق الغنيمة كلها .. اذ ليس من المألوف ان يسارع اللصوص الى انفاق مبالغ كبيرة على نحو يلفت اليهم الأنظار .. خاصة اذا كانوا من اصحاب السوابق الذين يراقبهم البوليس .

وقد كانت لهذا اللص سوابق ، استطاع الطبيب ان يعرفها  
بفضل التعاون ، الذي افقه اطباء المستشفيات الكبرى ، مع دوائر  
الأمن .

ولعله كان في الإمكان انقاذ حياة المريض ، لكن ذلك كان منوطا بالطبيب  
وحده .. بحكم مهنته ..

ولذلك لم يكن هناك من يحق له ان يسأل الطبيب او يراقب في سلوكه  
عندما تسلك الى غرفة المريض ، بعد منتصف الليل ، وحقنه بمادة  
الاسكوبالومين .. التي يطلقون عليها اسم عقار الصدق ..  
وهو العقار الذي يطلق الألسنة .. فلا يقول اصحابها الا  
الحقيقة ..

وشرع الطبيب في استجواب اللص ، وعينه على الباب خوفا من دخول  
احدى الممرضات :

- اين النقود التي اخذتها من البنك ؟

فتمتم اللص قائلا :

- النقود ؟ انني اخفيتها .

- اين ؟

فرد اللص :

- في « الكامينو » .. على بعد ثلاثين خطوة ، شرق الطريق

الرئيسي ..

- عند معسكر ( نيدرلن ) ؟

فأجاب اللص :

- خارج المعسكر .. هل تظنني من الغفلة بحيث اخفيها داخل

معسكر مليء بالحراس ؟ .. ان المبلغ كله هناك .. ثمانون الف دولار .. في

حقيبة من الورق تحت عمتي ثلاثين سنتيمترا .. وليس هناك من يقوم بأعمال

الحفر ..

فسأله الدكتور :

— هل انت واثق من انك اخفيت المبلغ هناك ؟

— كله هناك .. وسوف اعود لاستخراجه .. وبعد ذلك اذهب الى المكسيك .. او الى كندا ..

سأكون غنيا ..

فتفكر الدكتور كويلر في وجهه . وتذكر كيف هبط مقبض المسدس على رأس المرأة فحشمه ..

ولكنه كان أميناً مع نفسه .. فلم يزعم لها ، ان قتل المرأة هو الدافع .. لأنه كان سيفعل نفس الشيء ، حتى ولو لم يكن اللص قد قتل المرأة .

وبأعصاب هادئة .. وأصابع خبيرة . ضغط الطبيب على شريان معين في الرقبة ينقل الدم إلى المخ .  
فمات اللص في هدوء دون مقاومة ..

وفي هدوء كذلك غادر الطبيب الغرفة .

لقد كان من المحتمل ان يموت اللص في أية لحظة موتة طبيعية ، بسبب التلف الشديد الذي أصاب المخ ..  
لكن كان من المحتمل من جهة أخرى ، وبفضل مهارة كويلر ان يبرأ اللص من إصابته ويعيش .

لكن ذلك موضوع يتسع للجدل .

ومن العجيب ان الطبيب تذكر ( العين ) ، في ذلك الوقت ، بالذات ..

كانت عيناً من الزجاج الملون طولها خمسة أقدام ، تطل من أعلى نافذة في كنيسة القرية التي ولد فيها ..

وكثيراً ما كان أبوه الدكتور كويلر المعجوز يشير إلى هذه العين كلما ذهباً  
إلى الكنيسة في أيام الأحد .  
ويقول له :

- هذه عين الله . إنها ترى كل ما تفعله . ولا يخفى عليها شيء حق  
ولو كان في أعماق قبو مظلم . هل فهمت يا بني ؟ . لذلك يجب ألا تفعل  
ما يغضب الله .

وهكذا عاش كل حياته في فزع من تلك العين .. التي كانت تترامى له  
في نومه ويقظته ..  
فقرر ذات يوم أن يتجاهلها .

\* \* \*

أما الدكتور كويلر المعجوز ، الفاضل .. فإنه عاش محترماً ..  
ومات فقيراً .. ولم يترك لأمرته سوى ديون على المريض لم يتكفوا  
عناء سدادها .

وتساءل الدكتور كويلر الشاب .. ترى ، ما رأي ( العين ) فيه  
الآن ، بعد أن أصبح قاتلاً .. وسيصبح عما قريب صاحب ثروة  
مسروقة ؟ .

إنه أقدم على شرور كثيرة ليصل إلى مركزه الحالي ..  
كان وهو طالب بالمدرسة الثانوية يعمل صرافاً في أحد المتاجر الكبرى  
فتعلم كيف يغالط الزبائن ويضع الفروق في جيبه ..

ثم كان وهو طالب طب يستغل شهره أبيه في إجراءات عمليات الإجهاض  
التي يحرمها القانون لقاء أجور خيالية ..

فعل هذا وذاك ، ولكنه لم يتصور انه يمكن ان يقدم يوماً على قتل  
أحد المرضى

بيد ان كل هذا قد مضي الآن وانقضى ..  
لقد أصبح مستقبلي مضموناً الآن ..

وسوف يستطيع ، بفضل الثمانين الف دولار ، ينشئ عيادة خاصة على  
أرفع مستوى .  
وتذكر اعتراف اللص ..

كان من الغباء حقاً ان يضع المبلغ الضخم في حقيبة من الورق .. لكن  
تلك هي عقلية اللص وطريقة تفكيره .

على انه بما يطمئن له ان تلك المنطقة من كاليفورنيا قليلة الأمطار ..  
وإذا هطلت الأمطار فلإنها لن تهطل قبل شهر أكتوبر .. فالنقود إذن في  
مأمن إلى حين .

\* \* \*

وبعد بضعة أيام ، قرر كويلر معاينة المنطقة ، وتحديد البقعة في  
ضوء النهار .

على ان يعود اليها ليلا لاستخراج الغنيمة .

ولكن لشد ما كان ضيقه وغيبه حين ذهب إلى المنطقة ، ووجدما  
تجمع بالحركة ، ورأى الطريق مليئاً بالقار والرماد ، وبقع الزيت ..  
وقطع المطاط ..

ثم أبصر بالدخان يتصاعد من الأعشاب الطويلة الجافة التي تغطي مساحات  
شاسعة من الأرض الرملية .

ورأى عربة حمراء صغيرة من عربات المطافئ ، تقف على جانب الطريق ، وبالقرب منها رجل متقدم في السن ، يرتدي بزة رجال المطافئ ، وبين يديه اسطوانة مما يستخدم في رش الحرائق بالمسود الكيميائية ..

فدنا منه وقال :

— ماذا حدث؟ إني طبيب .

فرد الرجل ببساطة :

— لا عمل لك هنا يا دكتور ، فقد ذهبت عربة الاسعاف بالسائق منذ ساعة . أما ما حدث فهو نفس المألوف ..

لقد ظن سائق سيارة نقل الزيت انه يستطيع قيادة السيارة بنفس الرعونة التي يقود بها سيارة صغيرة .

فأفلتت عجلة القيادة من يده ، وانقلبت السيارة ، واشتعلت فيها النيران .

وكان من الواضح ان السيارة المحطمة قد نقلت ، وان النار توشك ان تخمد ..

ولكن كويلر كان مطمئناً إلى سلامة النقود . فقرر ان يلتظر يوماً أو يومين ثم يعود لاستخراجها في إحدى الليالي القمرية ..

وبما زاده اطمئنناً ان معسكر ( بندلتون ) كان يقع على بعد مائتي متر على الأقل .. ولن يفتن أحد الى وجوده ، إلا إذا أضاء مصابيح سيارته ..

يضاف إلى ذلك ان وجوده في المنطقة ليلاً ، لن يثير ريبة أحد .. فهو طبيب .. والطبيب يمكن ان يدعى لزيارة مرضاه في أية ساعة من الليل والنهار .

وعلى ذلك فقد شكر رجل المطافئ .. وانصرف متظاهراً بقلة

الاكتراث .. ولكنه حرص على ان يحصي خطواته ، وبعد ثلاثين خطوة ، وجد قطعة مطاط محترقة .. فالتحذها كعلامة ترشده إلى مكان الغنيمة .

فغادر المكان وقلبه مغمم بالأمل .

\* \* \*

وفي الساعة الثانية صباحاً ، بعد ثلاثة أيام ، عاد إلى المنطقة ومعه فأس ، فوضع يديه في قفاز من الجلد وراح يحفر الأرض في المكان المحدد ، وكانت رائحة الحريق ، والزيت والمواد الكيميائية ، لا زالت تنبعث من الرمال .

وفجأة وجد كتلة سوداء متفحمة .. فمد يديه وانتزعها من الأرض ، ولكنه ما كاد يفعل ذلك حتى تحلل القفاز وتساقط اجزاؤه ، وأحس كأن يديه تحترقان . وفي نفس اللحظة ، صعدت الى أنفه رائحة حامض النتريك ( ماء النار ) .

فأدرك ، والذعر يملأ قلبه ، ان السيارة لا بد قد كانت تنقل شحنة من هذا الحامض إلى قاعدة الصواريخ القريبة . فلما انقلبت .. سال الحامض على الأرض وتخلل الرمال .. فأحبال الحقيبة والنقود إلى عجينة سوداء لا قيمة لها .

وعاد الدكتور كويلر الى سيارته وهو يترنح .. فشعر كأن يديه تحترقان .. ولكن لا بأس .. إن بشرة اليدين ستتجدد بعد بضعة أيام .. أما النقود .

حقاً .. إن فقدتها صدمة لا تحمل ..

وأمرع الى غرفته في المستشفى ليعالج بديه ..  
ثم خطر له ان يحتمي قدحاً من الويسكي .. فصب الشراب في  
القدح .. وقرر ان يضيف اليه بعض الماء ، من صنبور في الغرفة ..  
ولكنه ما كاد يصل إلى الصنبور حتى سقط القدح من يده .. فحدث  
نفسه بقوله :  
- يا للشيطان .. كيف يفلت القدح من بين أصابعك .. وأنت  
جراح ؟ ..  
ونظر إلى وجهه في المرآة .. ورأى ان إنسان إحدى عينيه ، أصفر  
من إنسان العين الأخرى .

- تمت -









